

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## المُسْلِمُونَ

مجلة إسلامية جامعة

تصدر مع غرة كل شهر عربي  
سنتها عشرة أعداد

صاحب الاستبصار

ورئيس التحرير

سعيد رمضان

الإدارة :

٣٢ شارع النيل

بالروضة بالقاهرة

تليفون : ٢٤٤٥٥

الاشتراكات

١٠٠ عن سنة كاملة

٦٠ عن نصف سنة

للطلاب وجنود الجيش

٨٠ عن سنة كاملة

٤٠ عن نصف سنة

٢٥ عن ثلاثة أعداد

يضاف إليها أجرة

الريد خارج القطر

ديسمبر سنة ١٩٥٣

ربيع الثاني سنة ١٣٧٣

## خصائص صقلا الأنباء

مركز تحقيق كاتبة علوم إسلامي

الزعماء المصلحون في التاريخ صنفان :

زعماء أنبياء .

وزعماء غير أنبياء .

وفارق ما بين الصنفين عظيم ، وعظمته أوضح ما تكون حين يكون معنى النبوة هو « علامة التميز » للنبي الزعيم ، وحين يصدق إيمان الناس بأن لدنياهم هذه — على سعتها — إلهاً واحداً يحكمها ، وحين يتأثرون بهذا الإيمان تأثراً يحكمهم في كل ما يرون ويحسون ؛ فالكون كله مظهر قدرته ، ونظامه الهائل الدقيق برهان حكمته ، وسنن الحياة الدائمة أجراها سبحانه بمحض مشيئته ، وحقائق القوى الرهيبية التي وقف العلم حياها يعرف بعض خصائصها ولا يدرك كنهها : هي سر طنعتة . . . . .

وكل ذلك — على جلاله — مسرح قصة قديمة بدأت من لدن آدم ، وستنتهي بنهاية هذا الكون الذي نرى ، وبطلها أنت أيها الإنسان ، أنت يا ابن « آدم » الذي بدأت به القصة ، يامن تولد ولا أمر لك ، وتموت ولا أمر لك ، مهما لبست ومهما طعمت ومهما علمت ، وفي أي زمن أو بلد عشت أو مت ، وحياتك بين مولدك وموتك فترة ابتلاء

# العلوم والسنن الإلهية

لأبي نعمان المهاجر

( ٢ )

« لله في كونه نواميس لا تحابي أحداً من الناس !! »

إن الإيمان بالسنن الإلهية في هذا الكون يدفع العقول إلى البحث عن أسرار هذه السنن في كل شأن من شئون الطبيعة، وكل جانب من جوانب الحياة الإنسانية، فيتسع بذلك المجال أمام العقول وتُكشف أمامها أسرار الخليقة وتُفجّل رموزها الغامضة، ويبدو العالم في كل ذرة من ذراته متسق النظام، عجيباً رائعاً معجزاً.

وعندما تبدو للعين الإنسانية حقائق الكون، وتُكشف لها أسرارها يملك الإنسان حينئذ مفاتيح الطبيعة، ويسيطر على ما فيها من القوى والإمكانات، وتصبح له السيادة في هذا الكون، وتتحقق له خلافة الله في هذه الأرض؛ ذلك أن الكون كتاب إلهي مفتوح مليء بالعبر والآيات والمعجزات، وقد هيا الله له العقل الإنساني ليقراه ويتصفحه ويكشف أسرارها ويجعل منه ذريعة إلى الاتصال بروح الله، والانسجام مع إرادته ومشيئته، والبلوغ بهذا العالم إلى الذروة من الكمال والتهذيب والإعجاز.

ومن آيات الله الرائعة في هذا الكون أن كل ظاهرة من ظواهره ترتبط بعلمها وأسبابها، ومن هذه العلل والأسباب تتكون القواعد والكليات، وتصبح سلاحاً في يد الإنسان يملك بها أن يتصرف بكنوز الطبيعة وينتفع بها؛ ويأخذ منها حظه الأوفى من السعادة والقوة.

إن الارتباط بين السبب والمسبب ضرب من قدر الله وآية من آياته تعبر عن مشيئته الماضية وحكمته البالغة التي لا تتغير ولا تتبدل. إن الله هو الخالق لهذا الارتباط الدائم الذي نراه بين الأسباب والسيئات، فمعنى ذلك أن هذه هي مشيئته الخالدة، وأنه سبحانه أراد أن تكون ظواهر الكون وإمكانياته جارية على هذا النسق، سائرة

في هذا النهج ، وأن يكون الإنسان نفسه متمشياً في حياته الخاصة والعامة ، وفي علاقته بالطبيعة على مقتضى هذه القواعد الكلية والسنن الأزلية ، التي تعبر عن مشيئة الله أصدق تعبير .

ولما كانت هذه السنن الأزلية تنزل من إرادة الله هذه المنزلة السامية جعل من طبيعتها أنها تتجلى وتكشف لكل ذى عقل من بنى الإنسان ، وجعل في نظرة الإنسان القدرة على اكتشافها وإدراكها مباشرة بدون واسطة الأنبياء والرسل .

ولقد ترتب على ذلك أنه إذ جعل سبحانه في فطرة العقل الاهتداء إليها وإلى مقتضياتها وواجباتها قدر أن يكون العقاب على الإعراض عنها والتمرد عليها عقاباً سريعاً ، يجعل المصاب به عبرة لذوى العقول حتى لا يقعوا فيما وقع فيه .

فمن هذه السنن ما هو ظاهر جلي تدركه بديهية العقل الإنساني ، حتى في عهود فطرته الأولى ؛ وذلك كالإدراك بأن فطرة الإنسان وقواه البدنية ، تعجز عن مقاومة قوى الكون الطبيعية القاسية من الحر والبرد والرياح والعواصف ، وما أشبه ذلك ، إلا إذا استعان الإنسان عليها بوسائل طبيعية أخرى فاصطنع لذلك الكساء وأقام الأبنية ، وشيد المدن والقرى ، وطلب النجاة من جوائح الطبيعة بأسباب طبيعية تتفق مع سنن الله ، فإن الله الذي خلق الضعف في فطرة الجسم الإنساني إزاء الطبيعة منحه قوة في إدراكه الذهني لمقاومة الأخطار التي تحيط به .

ومن هذه السنن ما هو خفي لا يتجلى للإنسان ، ولا تتبين أسرارها وأسبابها ، ونتائجها إلا بالتفكير العميق والتجربة والملاحظة والتنظيم ؛ وذلك كدقائق العلوم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية وغيرها . فهذا النوع من السنن تتجلى مشيئة الله فيه كما تتجلى في غيره ، ويوجب على العقل الإنساني أن يعنى به ، ويكشف عن أسرارها ، ويسير على مقتضاها ، وإلا نالته العقوبة السريعة وذاق وبال جهله وغفلته وإهماله .

وإذا تقرر أن النواميس تمثل إرادة الله ، وأن كل ذرة من ذرات هذا الكون تخضع لها وجب حينئذ أن تتقرر الأهمية القصوى لإدراك ما خفي من هذه النواميس ، والاستفادة منها والسير على مقتضاها ، وذلك لا يكون إلا بالتزود من شتى المعارف الإنسانية التي بلغ إليها العصر الحديث ؛ فليست العلوم الحديثة إلا تسجيلاً لسنن الله

في هذا العالم . وإذن فالواجب على المسلمين أن يتزودوا من كافة المعارف الإنسانية ، وأن يرسموا خططهم في حياتهم ونهضتهم والدفاع عن أنفسهم على الأسس العلمية التي تمثل النواميس الإلهية .

إن على المسلمين ألاَّ يسمحوا ببقاء هذا التفاوت الهائل بينهم وبين خصومهم في مجال العلوم والمعارف ، وربط الأسباب بالمسيبات ، فإنهم أولى من سواهم بالسير على مشيئة الله ، وليعلموا أن السنن الإلهية لا تحابي ولا تداجي ولا تغير وجهتها لأجل أحد من الناس كائنًا من كان .

وليتذكروا أن نبينا محمدا عليه الصلاة والسلام كان يتخذ الوسائل الطبيعية في مقاومة أعدائه المشركين ، وهو حبيب الله وصفيه ، ولو شاء الله لخسف بأعدائه الأرض وأراح محمدا وأصحابه الأبرار من عناء الكفاح والنضال ، ولكنه تعالى لم يفعل ذلك لأنه جل وعز قد جعل لكل شيء سنة وسبيلاً .

لما اجتمعت جموع الأحزاب للقضاء على نبي الإسلام وأصحابه ، وتشاور محمد وأصحابه في ذلك الخطر المحيط بهم ، أشار عليه بعضهم بحفر خندق حول المدينة ، وكان ذلك شيئاً جديداً على العرب ، فأمر أصحابه جميعاً أن يساهموا في القيام بهذه العملية الشاقة ، وكان عليه الصلاة والسلام هو الطليعة والقُدوة ، ولما أحسَّ بالجوع عصب بطنه بالحجارة وأخذ يحمل المعول ، ويضرب الصخور حتى يتطاير الشرر منها ، ورأى المنافقون هذا العناء الشديد الذي يتحملة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضوان الله عليهم !

( يتبع )

### أصلح نفسك

لا يستحق أحد حقيقة الإيمان حتى لا يعيب الناس بعيب هو فيه ، ولا يأمر بإصلاح عيوبهم حتى يصلح عيوب نفسه ، فإذا فعل ذلك لم يصلح عيباً إلا وجد في نفسه عيباً آخر ينبني أن يصلحه ، فإذا فعل ذلك شغل بخاصة نفسه عن عيب غيره .

« الحسن البصري »



# اتجاهات الفلسفة الإسلامية

## وكيفية مجابهة الأفكار الحديثة في المجتمعات الإسلامية

الأستاذ الدكتور محمد البهي

أستاذ الفلسفة بكلية اللغة العربية

### ١ - مقدمة :

إن القرنين الثامن عشر والتاسع عشر كانا مسرحاً لحركة الفكر الإسلامي في رقعة الشرق الأوسط والأدنى ، بعد ما كان التفكير الإسلامي قبل ذلك يسير في دائرة الماضي لا يحيد عنها .

إذ المعروف في تاريخ الفكر الإسلامي واتجاهاته أن قادة المسلمين وأئمتهم كانوا يتبعون مدرسة من المدارس الفقهية أو الكلامية التي تأسست في القرون الثلاثة الأولى ، وأنهم كانوا يلتزمون تعاليم المدرسة المتبعة ويسيرون في استنباطهم وفق الأصول التي سار عليها إمام هذه المدرسة . ويكاد يكون عمل هؤلاء التابعين منحصراً في دائرة شرح أفكار المدرسة ، أو في إخضاع حادث جديد لقاعدة عامة سبقت بحكم المشابهة والمماثلة لجزئية أخرى من جزئيات هذه القاعدة .

وسار الأمر في التفكير الإسلامي على هذا النحو إلى زمن ابن القيم وابن تيمية ( في القرن الرابع عشر الميلادي ) . وهنا في هذا الوقت عن طريق هذين الفكرين تحول أمر التبعية السابقة لمدرسة من المدارس التي تكونت في الزمن المشار إليه آنفاً إلى « الانتخاب » وأصبح اتجاه التفكير يختلف منذ الآن لذلك عما مضى ؛ فالانتخاب ليس تقليداً لرأي ولا لفكرة معينة ولا بمجاراة لتعاليم مدرسة بذاتها ، وإنما يقوم أمره على « النقد » والنتائج عن عملية النقد العقلي هذه هو ذلك القدر المنتخب الذي ينسب إلى الناقد ويتميز الناقد به .

ابن القيم وابن تيمية إذن هما اللذان استخدمتا النقد العقلي في تقويم الأفكار الإسلامية ، سواء منها ما يتصل بالجماعة وتوجيهها أو ما يتصل بذات الخالق وصلته

بالمخلوقين . ويعتبر الطريق الذي سلكه تهيئاً للحركات الإسلامية العقلية التي جرت فيما بعد ، أو تعتبر هذه الحركات تطوراً للعمل الذي قام به .

فإذا كان القرآن الكريم يمثل مرحلة من مراحل التوجيه الإسلامي فإن مرحلة تكوين المدارس الفقهية والكلامية تعد المرحلة الثانية فيه ، كما تعد مرحلة التبعية والتقليد لهذه المدارس المرحلة الثالثة . وكذا بالتالي يعتبر عصر ابن تيمية وابن القيم ممثلاً للمرحلة الرابعة في هذا التوجيه . ثم الحركات الإسلامية الأخيرة تعتبر إما مرحلة خامسة أو استمراراً في صورة واسعة للمرحلة الرابعة السابقة عليها .

## ٢ - نشأة الاتجاهات الإسلامية المعاصرة وأهدافها :

في القرن الثامن عشر الميلادي ظهرت الحركة الوهابية وبرز عنها محمد بن عبد الوهاب في نجد .

وفي القرن التاسع عشر ظهرت الحركة السلفية في مصر على يد جمال الدين الأفغاني ( المتوفى سنة ١٨٩٧ ) ومحمد عبده ( المتوفى سنة ١٩٠٥ ) .

وفي الهند ظهرت مدرسة أحمد خان ( الذي ولد سنة ١٨١٧ ) وترجمها من بعده محمد إقبال ( المتوفى سنة ١٩٣٨ ) .

وفي برقة ظهرت الحركة السنوسية التي قام بها وتحمل في سبيل نشرها الجد الأكبر لملك ليبيا الحالي .

هذه الحركات وأمثالها التي ظهرت في الشرق الأوسط والأدنى ، وفي القرنين الثامن والتاسع عشر ، تعد اتجاهات للفكر الإسلامي في الوقت المعاصر . وما يجد من آراء وتوجيهات على أساس من الفكر الإسلامي يعتبر الآن صدئاً لهذه الحركات .

## الحركة السلفية في مصر :

إن جمال الدين الأفغاني أحد مؤسسي الحركة السلفية في مصر ، عندما حل بمصر كانت أحاديثه وتوجيهاته عبارة عن كشف آثار الاستعمار الإنجليزي في الشعوب الإسلامية . فقد أوضح هذه الآثار وهي آثار ضارة بتلك الشعوب في جوانب

الحياة الإسلامية الرئيسية : أوضح ضررها في التوجيه الفكري للمسلمين والتوجيه الروحي ، وأوضح ضررها في الجانب الاقتصادي من حياة المسلمين ، والجانب الاجتماعي ، وغير ذلك من الجوانب الهامة . وكان العلاج الذي يقترحه دائماً هو تمسك المسلمين بإسلامهم وعلى وجه أخص الجهاد في سبيل الله والقيام به ؛ لأنه كان يرى ضرورة الثورة على الاستعمار في غير هوادة ولين ؛ لأنه كما اعتقد هو مصدر الفساد والضعف في الحياة الخاصة والعامة للأمة الإسلامية في آسيا وفي أفريقيا .

والشيخ محمد عبده عندما اتجه في الطريق إلى الغاية التي حددها جمال الدين الأفغاني وهي محاربة الاستعمار لم ير الوسيلة التي كان يشجع جمال الدين على اتخاذها ، وهي إعلان الثورة الدينية على المستعمر باسم الجهاد في سبيل الله ، وإن كان يشارك أستاذه جمال الدين في تقرير أن العلاج لخروج المسلمين من حالتهم إذ ذاك ، وهي حالة الضعة والذلة والتخلف عن ركب الحضارة الإنسانية ، هو التمسك بالإسلام ، إلا أنه سار شوطاً أبعد مما وقف عنده جمال الدين في ذلك .

محمد عبده أراد أولاً أن يحدد ما هو الإسلام الذي يجب أن يلجأ إليه المسلمون في الخروج من حالتهم المشار إليها ، ووصل في تحديده إلى أنه ليس ذلك الذي يتمسك به المسلمون في ذلك الوقت من تقاليد ، وليس تلك الأفهام التي كانت لتأخرى المسلمين في الإسلام ؛ وإنما هو الإسلام كما فهمه المسلمون الأول . إذ أفهام المتأخرين من المسلمين للإسلام كانت تحت تأثيرهم بأحداث الوقت الذي يعيشون فيه . وهي أحداث من شأنها أن تبعد العلماء عن أن يروا الرأي الصحيح ، ويفهموا الفهم الواضح في تعاليم الإسلام . فالسلطان في ذلك الوقت كان سلطاناً في المظهر لحسب ، أما تسيير دفة الحياة إذ ذاك فلم يكن وفق ما ينادى به الإسلام ويأمر به المسلمون .

ثم عند ما حدد الشيخ محمد عبده الإسلام الذي يجب أن يتمسك به المسلمون ، رأى أن اتخاذ الثورة وسيلة في إخراج المستعمر من بلاد الشعوب الإسلامية يتصل بالمعاطفة والحماس الوقتي أكثر مما يتصل بواقع الأمر ؛ ولذا رأى أن يتخذ المسلمون وقادتهم أسلوباً آخر هو ما اتخذته المسلمون الأول في تكوين جماعتهم . وهو تنشئة المسلمين وتربيتهم وتوجيههم بأفكار إسلامية سليمة بعيدة عن الانحراف في فهمها وبعد تخليلها مما علق بها من دخيل منذ زمن طويل .

ولكى يضرب الشيخ محمد عبده مثلاً عملياً لتجديد الإسلام الذي أرادته وتخليته مما اتصل به على مر الزمن من أفكار دخيلة أو مريضة — عمد إلى تأليف بعض الكتب في العقيدة ، كما شرح بعض الكتب العقلية المتداولة ؛ فألف مثلاً رسالة « التوحيد » في العقيدة وشرح كتاب « البصائر النصيرية » وحاول تفسير القرآن الكريم على نمط اعتبر جديداً في وقته ، ونهج عليه من بعده كثيرون آخرون . كما أنشأ بعض المدارس في مصر وفي بيروت وهي تلك التي تسمى بمدارس الجمعية الخيرية الإسلامية .

وهو بهذا وذاك أراد أن ييسر الطريق للعمل العقلي في الإسلام ، ويضع نواة للمنهج العملي لتربية الناشئة وتوجيهها .

وهكذا الشأن في كل ماسار فيه كان يرمى إلى توضيح مبدأين أساسيين :

(١) مناوأة التقليد ، ودفع الباحثين إلى الاستقلال في البحث والفهم إن استطاعوا إلى ذلك سبيلاً ، سواء أكانت تلك الاستطاعة عن طريق إعدادهم العلمي أو استعدادهم العقلي . ويذهب في بيان مضار التقليد ومناوآته إلى أن الإسلام نفسه كدين لم يقيم على التقليد . وهنا يصرح بأن الاجتهاد « ضرورة عقلية ودينية » .

(ب) تأكيد « حرية الفرد واختياره في أفعاله » . إذ أن ربط الإنسان في تصرفاته بغيره على الإطلاق لا يتفق وتكريم الله للإنسان ، كما أن الفرد الحر المختار هو اللبنة الإيجابية في بناء المجتمع الإنساني المنتج . والإسلام في نظره لم يهدف إلى خلق مجتمع عاقل مشلول ، بل قصد إلى مجتمع تعممه الحياة والحركة ، ويتجه في سيره إلى الخير العام .

ومن أجل إقرار الشيخ محمد عبده لهذين المبدأين وتأكيدهما في كتبه وبحوثه رُمي من منافسيه في وقته بالإلحاد والخروج عن العقيدة ، مع أن الشيخ في واقع أمره لم يأت بجديد في ذلك زيادة عن الأسس التي قام عليها عمل ابن القيم ؛ « فالنقد » العلمي الذي نسب إلى ابن تيمية قبله يتضمن من الوجهة العملية إقرار الاجتهاد ومناوأة التقليد ، كما يتضمن الاعتراف بحرية الإنسان في اختياره .

« يتبع »



طريفة :

## من فقه الكتاب

حدثني المرشد الشهيد الأستاذ حسن البنا رحمه الله ، أن جماعة زاروه وهو منهمك بأمر هام جدا في غرفة أخرى مع بعض أهله ... فأمر أن تُعد لهم القهوة ، ومكث حتى شربوها دون أن يخرج إليهم ، ثم خرج إليهم وجلس يقدم عذره بأنه لا يستطيع أن يجلس معهم كثيرا لاضطراره إلى استئناف النظر في أمر هام مع آخرين ، فغضبوا - وكانوا من الأصدقاء لا من الإخوان - ، واعتبروا ذلك إهانة ... ، فقال لهم : نحتكم إلى كتاب الله : لقد أمر الإسلام بالاستئناس ، وأنتم لم تستأنسوا ، فقد تأخرت عنكم ، وأخرجت لكم القهوة بدون حضوري ؛ وذلك موجب للانصراف لدى بصائر المستأنسين ...

هذه واحدة ، أما الأخرى فإن الله تعالى يقول : « فإن قيل لكم : ارجعوا ، فارجعوا هو أذكى لكم » وأنا لم أقل ارجعوا ، بل قدمت القهوة ، وجئت أعتذر ... فإذا كنتم تغضبون لما فعلت فكيف يكون غضبكم لو أني أمرتكم بما هو أذكى لكم فقلت : ارجعوا كما أمر الله عز وجل ؟ .

قال رضى الله عنه - وكانوا من أهل الفقه - فسروا بذلك كثيرا ، وانصرفوا شاكرين ...

البرهاني الخولي

# الجامعة الإسلامية

لفضيلة الأستاذ الشيخ محمد أبي زهرة

أستاذ الشريعة الإسلامية بكلية الحقوق بجامعة القاهرة

( ٣ )

١ - إن الجامعة الإسلامية<sup>(١)</sup> هي الوحدة الإسلامية ، هي تحقيق معنى قول الله تعالى : « إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون » هي تحقيق الأخوة الإسلامية بين الأقاليم الإسلامية ، كما هي متحققة بين آحاد المسلمين ، وهي الأخوة التي تصلح ذات بينهم ولا تمكن من العداوات بينهم ، ولا تسمح لإقليم إسلامي أن يحارب إقليما آخر أيّا كانت الحرب ، سواء أكانت في ميدان القتال ، أم في ميدان السياسة أم في ميدان الاقتصاد ، وهي تحقيق مرمى قوله تعالى : « وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما ، فإن بغت إحداها على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تنفيء إلى أمر الله ، فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا ، إن الله يحب المقسطين . إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم ، واتقوا الله لعلكم ترحمون » .

٢ - وهي لازمة لنا في هذا العصر بحكم الزمان ، ولازمة في كل الأزمان بحكم القرآن . إن العالم يجتمع اليوم بحكم المذهب الاستعماري ، أو الغلب على الدول الضعيفة كما نرى بين فرنسا وإنجلترا ، أو بحكم النهاج الاقتصادي كما نرى في أمريكا وإنجلترا وغيرها ، أو المذهب الاجتماعي كما نرى في الاتحاد السوفيتي والدول التي تنتمي إليه . فإذا كنا في عصر التجمع على ذلك النحو ، فمن الحق علينا كناس نعيش في هذه الحياة أن نتجمع لا تحت سلطان من الطمع المادى ، أو الغلب ، أو السيطرة في الأسواق ،

---

(١) نستأذن فضيلة الأستاذ الكريم لنعيد ما سبق أن نشرناه في العدد الثامن من السنة الثانية لـ « المسلمون » وهو أن الجامعة الإسلامية التي نعنيها هي الجامعة التي تقوم على أساس الإسلام البين الصريح ، ولحساب المسلمين دون مؤثر من غيرهم ؛ وهي حين تقوم على هذا الأساس وبهذه الروح ستكون خيرا للانسانية كافة ، أما ما سوى ذلك من مشروعات على مسرح السياسة العالمية فلا ندري من أين بدأت ، ولا نعلم حقيقة وجهتها ... « التحرير »

ولكن تتجمع تحت ظل الله العليم القدير ، وإذا كانت تلك الأمم تجمعها المادة وتفرقها ، فالمسلمون يجمعهم الروح والخلق القويم ، إننا نجتمع في تلك الظلال الروحانية لا نبني علوا ظالما باغيا ، ولا نبني غلبا ماديا وسلطانا على الضعفاء ، بل نجتمع لنحمي أنفسنا من شر المفسدين الذين يعيشون في الأرض فساداً ، ونمكن لأنفسنا أن نعيش في الأرض في فضيلة دينية عادلة تدعونا إلى أن نعدل في أنفسنا ومع غيرنا كما قال تعالى : « ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا ، اعدلوا هو أقرب للتقوى » فإذا كان بعض الديانات يقول « أحبوا أعداءكم » وربما لا تجيب الفطرة الإنسانية ذلك النداء فالإسلام قال : « اعدلوا مع أعدائكم » .

وبهذا التجمع الفاضل الكريم يتحقق معنى قوله تعالى : « كنتم خير أمة أخرجت للناس ، تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » وتحقق الصلات الأدبية مع غيرنا إذا لم يعتدوا علينا كما قال تعالى : « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم ، إن الله يحب المقسطين » .

٣ — وإننا إذ ندعو إلى الجامعة الإسلامية ملحين لا ندعو — ضرورة — إلى الدولة الواحدة كما قلنا مرارا ، بل نقول يجب أن تكون جامعة موحدة ليس لأحد في تكوينها سلطان إلا الجماعات الإسلامية نفسها ، لكيلا يكون بين المسلمين حرب ، وليكون المسلمون جميعا يداً على من سواهم ممن يعتدى عليهم ، وتكون لسيادة السلم لا لإيقاد نيران الحرب . ولو أن الأمم المسيحية كونت جامعة مسيحية ، داعية إلى السلم بين المسيحيين ، مقتصرة في حروبها على من يعتدى اعتداء حقيقيا على المسيحيين لكان ذلك سبيلا من سبل سيادة السلم في العالم إن صدقت العزائم وخلصت النيات ، وأطاعوا أوامر دينهم ، وأجابوا نداء المسيح عليه السلام في الدعوة إلى المحبة العامة ، وكانوا متدينين حقا ، ولم يكونوا متمصبين من غير تدين ، فقد أثبت علم النفس أن التعصب والتدين ليسا متلازمين ، فإن التدين ليس هو سبب التعصب حتى يتحقق التلازم بينهما ، فقد يكون سبب التعصب عنصرية شديدة أثرت في العقل الباطن وسيرت الإنسان ولبست لبوس الدين فظن أن الباعث هو الدين ، وقد تكون

الرغبات المادية وغيرها مسيطرة على النفس الإنسانية فتجعل الشخص يتعصب باسم الدين وليس متدينا في شيء ، وقد يكون التعصب ناشئا عن انحراف نفسى أو ضعف في الأعصاب ؛ وكثيرا ما يكون ذلك عند المهوسين من المتدينين ، حتى لقد قال عالم من علماء أوروبا المعنيين بالدراسات النفسية : « إن التعصب الدينى ينشأ من ضعف الأعصاب لا من قوة التدين » وذلك حق لأن التدين القوى عميق لا تعبث به الأهواء ولا المنازع ، وهو يولد المحبة للناس ، لا الحقد عليهم ؛ وما من شخص يتمسح بالأديان ليبغض الناس من غير أن يعتقدوا عليه إلا كان ضعيف الإيمان في دينه ، أو ضعيف الأعصاب في نفسه .

٤ — لسنا ندعو إلى الدولة الإسلامية الواحدة ، بل ندعو إلى الوحدة الإسلامية أو إلى الجامعة الإسلامية ؛ والفرق بين الأمرين عظيم كما نوهنا .

نعم قد كانت الوحدة الإسلامية في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وفي عهد خليفته الصديق رضى الله عنه على شكل دولة إسلامية موحدة ؛ لأن الإسلام في عهد الرسول صلوات الله وسلامه عليه وفي عهد الخليفة الأول ما كان يتجاوز أقطار العرب ، فكان من الممكن تكوين دولة واحدة في ظله تتلاقى أعرافها ويتوحد نظامها .

ولما فتح الله سبحانه وتعالى الفتوح الإسلامية في عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه حكم البلاد العربية بحكم النبي صلى الله عليه وسلم وحكم الصديق ، وبالأسلوب الذى سنه النبي صلى الله عليه وسلم ، أما غير البلاد العربية فقد كان حكمها بوال يعين ، وله استقلال فى الجملة ، وإن كان يختلف قوة وضعفا ، وعين عمر البقرى ترقبه وتلاحقه ، وكان دائما يُعَيِّن القاضى من قبله ، وللوالى الإدارى الإدارة وبيت المال ، وأحيانا كان يجعل له الإدارة ، ويعين من قبله واليا على بيت المال ، وهو فى الحالين مشرف متتبع له عيون يرى بها ويعلم ، يعزل عند مظنة الظلم ، بل عند شبهة الظلم ، ولو أدى ذلك إلى أن يعزل كل يوم واليا ؛ ذلك بأنه يريد العدل فى كل صورة وأشكاله ، لا بل إنه يريد أن يشعر المحكومون بالعدل ، ييسط ظله على الجميع ، وأنه لا ظلم يعز على القصاص ، ولا كبير يملو عن الأخذ بناصيته ، إذ الأمر كما قال عن نفسه : « الضعيف منكم قوى حتى آخذ الحق له ، والقوى ضعيف حتى آخذ الحق منه » .



فكانت الجامعة الإسلامية في عهد ذلك الإمام العادل دولة واحدة ، ولكن للأقاليم فيها ولايات لها استقلال جزئى فى الإدارة ، والتبعية لإمارة المدينة قوية مستمكنة ، ولأمير المؤمنين الإشراف التام لتحقيق العدل الحقيقى .

٥ — ولما جاء عهد أمير المؤمنين عثمان رضى الله عنه ضعفت سيطرة المدينة ، فلم يحس الولاة بالسلطان النفسى الذى كان يراقبهم ؛ وبذلك خفت قوة المركزية فى الدولة واتسع مقدار الاستقلال عند والى الإقليم .

ولما جاء عهد أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه أراد أن يعيد سياسة عمر ، ولكن لم يتم له ذلك ؛ لأن الولاة ألفوا الاستقلال واستمروا به ، ولذلك قامت فى عهده الفتن ، واضطربت الأمور ، وقد خرجت الخوارج وبغى البغاة ، وهو فى الجميع سيف الله المسلول ؛ وهو حجة قائمة على أن الحق لا يخلو من ناصر على وجه الأرض ، وصدق فى عهده ما قال : « لا يخلو وجه الأرض من قائم لله بحجة إما ظاهراً مشهوراً أو خائفاً مغموراً » ، فكان هو القائم بحجة الله فى وسط ذلك الديجور من الفتن المدلّمة .

٦ — هذا كله والإسلام فى قوته ، وأحكامه قائمة ، فلما جاء عهد الأمويين ، وقد صارت الخلافة ملكاً عضوياً كما نوهنا فى مقالنا الأول ، كان لولاة الأقاليم سلطان شبه كامل ، ويكاد يكون مطلقاً إلا فى تنفيذ رغبات الخليفة ، ودعم الأسس التى قامت عليها دولته ، وكذلك كان الأمر فى صدر الدولة العباسية .

بيد أنه فى عهد المنصور أنشأ عبد الرحمن الداخل دولة مستقلة قائمة بذاتها فى الأندلس ، لا تخضع لحكم بغداد ، ولا تتصل بها بأى نوع من أنواع الاتصال ، وبذلك ابتدأت الإقليمية تتخذ صورة الدولة المستقلة المقطوعة غير الموصولة ، وأخذ يكيد أميرها لأمير بغداد ، ويبادلها الآخر ذلك الكيد بمثله ، ولقد كان انقطاعها سبباً فى أن سارعت إليها الذئاب ، فالتهمتها ، وفى قلب كل مسلم حسرة .

ولم يقف الأمر عند الأندلس ، وقد ابتدأت دولتها مناوئة ، بل إن الدولة العباسية نفسها صارت تُقَطَّع دولا وإن كانت موصولة ببغداد بخيط قوى أو خيط ضعيف ، وفى آخر عهد الرشيد تكونت دولة الأغالبة بالمغرب ، ثم بعده نشأت الدولة

الطولونية في مصر ، ثم الدولة الإخشيدية ، ثم قامت دولة الفاطميين مستبدة بحكم مصر وأكثر المغرب ، ثم ضمت إليها الشام ، مناوئة حكم بغداد .

وهكذا نشأت الدول الإسلامية المختلفة يناوئ بعضها بعضاً ، وقامت الفتن المختلفة في ربوع الديار الإسلامية فقامت فتنة الزنوج ، ثم فتنة القرامطة ، وصار بأس المسلمين بينهم شديداً ، وتقطعت وحدتهم ، ولم يصيروا جميعاً لا في المظهر ولا في المخبر ، حتى طمع فيهم الفرنجة فغزوه ، وانقض عليهم التتار فلم يبقوا ولم يذروا ، ولولا أن الله سبحانه قد حفظ شرعه ما بقي لهم من بقية ، ولذا أخرجوا الغزاة من الفرنجة بعونه ولطفه .

ثم جاء من بعد ذلك آل عثمان فجمعوا الشمل في المظهر ، وإن لم يجمعوا القلوب ، حتى صح فيهم وصف الله لنيرهم : « تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى » . وقد أرادها آل عثمان هرقلية ، ولم يجعلوها محمدية ؛ ولا يلتقي حكم محمد وهرقل في دولة واحدة .

٧ - ولقد تحملت دولة آل عثمان فحق علينا أن نجتمع في شكل جامعة موحدة ، لا في شكل دولة واحدة ، فلا بد من وحدة تجمع سياستنا واقتصادنا وثقافتنا ، وبها نستطيع تنفيذ أحكام ديننا في الاقتصاد والحكم . وإن تكوين تلك الجامعة لا يقتضى أن يكون شكل الحكم واحداً في كل الأقاليم الإسلامية ، بل لكل إقليم شكل الحكم الذي يختاره ، والنظام الذي يريده .

٨ - فليست الجامعة الإسلامية صهراً للأقاليم الإسلامية في بوتقة واحدة ، ليتكون منها اتحاد جامع ، إنما هي وحدة جامعة ، يجمعها القرآن وأحكامه ، ولكل إقليم شكل الحكم الذي يختاره ، وإن ذلك هو ما دعى إليه المبقرى الألعى السيد جمال الدين الأفغانى منذ أكثر من سبعين سنة ، فقد قال - وقوله الحق - في دعوته إلى الجامعة الإسلامية : « لا ألتبس بقولى هذا أن يكون مالك الأمر في الجميع شخصاً واحداً ، فإن هذا ربما كان عسيراً ، ولكنى أرجو أن يكون سلطان جميعهم القرآن ، ووجهة وحدتهم الدين ، وكل ذى ملك على ملكه يسعى بجهد له لحفظ الآخر ما استطاع ، فإن حياته بحياته ، وبقائه ببقائه . إن هذا بعد كونه أساساً لدينهم تقضى به الضرورة ، وتحكم به الحاجة في هذه الأوقات . هذا أو ان الاتفاق . . . »

ولقد قال مصطفى كمال التركي في الوقت الذي كان يستمد فيه القوة من المسلمين :  
 « إن سعادة جميع البلاد الإسلامية ورفاهية العالم الإسلامي هي في نظرنا كسعادتنا  
 ورفاهيتنا ، إننا مرتبطون بهذا الأمر ، فإننا نرى البلاد الإسلامية مرتبطة بنا وبسعادتنا  
 على هذه الصورة ، وهذا أمر يتجلى كل يوم ، إنما إذا أردنا أن نجتمع هذه الجماعة  
 الإسلامية في شكل امبراطورية مادية ، فهذا مخالف للعالم والمنطق والفن ، إن لكل  
 جسم سياسي نهاية من القوى لا يتعدها أبداً ، كما أن هناك خطوطاً معقولة لحسن  
 تشكّل كل جسم إنساني ، وكما أن الشكل الإنساني مبني على هذه القاعدة فإن  
 الجماعات التي تتألف من الناس كذلك لا تشذ عنها » .

٩ - إن تكوين الجامعة الإسلامية من غير أن تكون دولة واحدة إسلامية  
 هو الغاية المنشودة في هذا الزمان ، وتكوينها يكون أولاً : بقيام وحدة سياسية  
 جامعة لسياسة الدول الإسلامية الخارجية مع غير المسلمين ، في شكل جامعة لها  
 مجلس جامع تمثل فيه الدول الإسلامية الحرة ، ويحضر مندوبون غير رسميين من  
 الأقاليم الإسلامية .

وثانياً : بتكوين وحدة اقتصادية من كل الأقاليم الإسلامية بحيث يمكن أن يتكون  
 اقتصاد إسلامي منفصل تمام الانفصال عن الاقتصاد الأوربي والأمريكي والروسي ،  
 لكيلا يكون المسلمون في ذيل أي اقتصاد عالمي ، فنتأبنا أزماته ، ولا نستطيع تنفيذ  
 أحكام ديننا في النظم الاقتصادية .

وثالثاً : يكون بتكوين وحدة لغوية أساسها لغة القرآن ، ويتبع ذلك وحدة  
 ثقافية فنحجي به تراث السابقين من آثار الفكر ، ونجتمع تحت ظله ، ونبنى عليه  
 ونرفع فوق قواعده » .

هذه خطوط مرسومة ، وهي إجمال وراء تفصيل ، والله في عون العبد مادام العبد  
 في عون أخيه ، وهو الموفق والمهادي إلى سواء السبيل .

# نظام ربانى

للأستاذ سيد قطب

( ٢ )

والإسلام يربط بين العقيدة والنظم والتشريعات التى يُطلب إلى كل فرد فى المجتمع الإسلامى صيانتها ومراعاتها ورد الحاكم والمحكوم إليها . ونضرب على هذا بعض الأمثلة :

فالزكاة وهى ضريبة مالية ، تحقق جانباً من جوانب التكافل الاجتماعى فى الإسلام ( وهو أوسع مدًى من الزكاة وأكبر مدلولاً من الحقوق المالية عامة كما سيأتى ) هذه الزكاة فريضة دينية ، تمثل الركن الثالث من أركان الإسلام . تُطلب لاستحقاقها باسم الله ، وترتبط ارتباطاً وثيقاً بالعقيدة فى الله وفى أنه هو الذى استخلف أصحاب المال فى ماله ، فحق عليهم أن ينفقوا بأمره وبأذنه من هذا المال : « وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه <sup>(١)</sup> » . . « وآتوهم من مال الله الذى آتاكم <sup>(٢)</sup> » .

والربا — وهو داخل فى النظم الاقتصادية والمالية — يحرم ، ويربط تحريمه بالعقيدة وإشعاعاتها فى النظرية المالية فى الإسلام : « يا أيها الذين آمنوا انقوا الله واذروا ما بقى من الربا إن كنتم مؤمنين . فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله ، وإن تبتم فلكم رؤوس أموالكم ، لا تظلمون ، ولا تظلمون <sup>(٣)</sup> » .

والحد فى السرقة عقوبة تتعلق من ناحية بالنظام الأخلاقى ومن ناحية بالجانب الاقتصادى . وهى مربوطة بالعقيدة فى الله تُنفذ عقوبة من الله ، لا من المبروقين

(٢) سورة النور . آية : ٢٣ .

(١) سورة الحديد . آية : ٧ .

(٣) سورة البقرة . آية : ٢٧٨ — ٢٧٩ .



ولا من المجتمع كله : « والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا ، نكالاً من الله <sup>(١)</sup> » .

والحد في الزنا عقوبة ذات علاقة بالأخلاق من ناحية وذات علاقة بنظام الأسرة وبالنظام الاقتصادي ( في تدليس الأنساب وتوريث الغرباء ) وهي تُربط بالعقيدة في الله ، ولا يذكر بجانبها لا حق الأسرة ولا حق المجتمع ، ولكن حق الله : « الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ، ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر <sup>(٢)</sup> » .

وهكذا كلما مضينا مع القواعد التي يقوم عليها النظام الاجتماعي الإسلامي ، نجد أنها مرتبطة بالعقيدة ، قائمة عليها ، مستمدة منها قوتها وأحقيتها ، محققة سنة الربانية في النظام الإسلامي .

\*\*\*

معنى آخر من معاني الربانية يشتمل عليه النظام الإسلامي ، نشير إليه هنا إشارة مجملة ، لأنه يتعلق بنظام الحكم في الإسلام ( وسنعرض له قريباً إن شاء الله ) .  
إن الحاكمية في هذا النظام الرباني الفريد لله وحده . فلا حاكمية فيه لأمر ولا رعية . فالله وحده هو المشرع ابتداءً ، وعمل البشر هو تطبيق التشريع الإلهي وتنفيذه - وهم حتى فيما يجمعون عليه مما لم يرد فيه نص ، يظلون مطبقين للمبادئ الإسلامية ، لا مبتدعين ولا مضيفين مبدأً جديداً لا أصل له في الشريعة ، بله أن يكون مخالفاً لأصل من أصولها - وهم في الأحكام التطبيقية والتنفيذية محكومون بالمبادئ الأساسية التي جاءت بها الشريعة ، غير مخيرين في العدول عنها ، أو اختيار بعضها دون بعضها ، أو في تعديلها وتحويرها : « وإن احكم بينهم بما أنزل الله ، ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك <sup>(٣)</sup> » .. « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون <sup>(٤)</sup> » .. « وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً ، أن يكون لهم الخيرة من أمرهم <sup>(٥)</sup> » .

(١) سورة المائدة . آية : ٣٨ .

(٢) سورة النور . آية : ٢ .

(٣) سورة المائدة . آية : ٤٩ .

(٤) سورة المائدة . آية : ٤٤ .

(٥) سورة الأحزاب . آية : ٣٦ .

والإشارة إلى الرسول - صلى الله عليه وسلم - في صدد الحكم والتشريع ، لا تنفى أن الحاكمية لله وحده دون البشر ؛ فالرسول - صلى الله عليه وسلم - لا ينطق في هذا عن الهوى : « إن هو إلا وحى يوحى »<sup>(١)</sup> أما ما كان يستشير فيه الرسول صلى الله عليه وسلم ، ويمضيه حسب المشورة لاحسب رأيه . فقد كان في الأمور التي لا تتعلق بالتشريع في أية صورة من صوره ، ومنه كل ما ينظم أحوال الجماعة . إنما كان يحىء في الأمور العملية المتعلقة بالخبرة كتأثير النخل ، واختيار مواضع القتال وخططه مما يتعلق بعلم تجربى ، لا بتشريع ولا بتنظيم اجتماعى يتعلق بالأصول . وفي هذه الدائرة قوله - صلى الله عليه وسلم - : « أنتم أعلم بأمور دنياكم » لا في المبادئ والأصول المتعلقة بالإنسان في عقيدته أو في نظامه الاجتماعى . فليكن هذا المعنى واضحاً تمام الوضوح لأن بعض الممارين يلبسه على الناس ويفتل لهم فيه بالشبهات !

نعم يملك فقهاء الشريعة الإسلامية - وهم ليسوا طائفة معينة كرجال الأكليروس في الكنيسة المسيحية مثلاً - إنما هم كل من تفقه في الدين أيّاً كانت وظيفته وعمله - يملك الفقهاء أن يختلفوا في فهم النصوص وفي استنباط الأحكام منها ، كما يختلف شراح القانون الوضعى - ولكن اختلاف فقهاء الإسلام يظل داخل حدود مرسومة . فهو لا يمكن أن يخرج على المبادئ الأساسية في الشريعة : « فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول »<sup>(٢)</sup> . . وبذلك تظل الحاكمية لله وحده ، ويظل المجتمع الإسلامى محكوماً وفق شريعته . فإذا انحرف عن هذه القاعدة لم يعد مجتمعاً إسلامياً ، يحمل هذا العنوان الخاص .

وهكذا نجد سمة الربانية تتحقق من توحيد الحاكمية لله . وهذه بدورها راجعة إلى عقيدة التوحيد الإسلامية .

\*\*\*

بهذه الربانية انفرد النظام الإسلامى من بين سائر النظم التي عرفت البشرية . بما فيها النظام « التيوقراطى » الذى كان الحاكم يتلقى فيه سلطته إما من رجال الدين

(٢) سورة النساء . آية : ٥٩ .

(١) سورة النجم . آية : ٤ .

وإما من الحق الإلهي ، بوصفه ظل الله في الأرض ! فعني الربانية في الإسلام متملق بالنظام ذاته ، لا بالحاكم وسلطة الحكم . فالحاكم في النظام الإسلامي لا يتلقى سلطته من رجال الدين ، ولا يدّعيه بحق إلهي له . إنما يستمد حقه في تولي الحكم من البيعة الحرة . كما يستمد طاعته من تنفيذ شريعة الله دون سراها : « اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبد حبشي — ما أقام فيكم كتاب الله تعالى »<sup>(١)</sup> .

وفرق كبير بين هذه القاعدة وقاعدة النظام التيوقراطي كما عرفته أوروبا .

إن الربانية في النظام الإسلامي ربانية شريعة ونظام ، لا ربانية أمراء وحكام ! وحين يشرع الله تعالى للبشر يشرع بعلم كامل ، وبعدل شامل ، وهو أعلم بمن خلق . وهو اللطيف الخبير . . .

### استدراك

١ — وقع خطأ مطبعي في الآية الكريمة الآتية التي جاءت بمقال الأستاذ سيد قطب « نظام رباني » في العدد الماضي صفحة ٢٠ سطر ١٤ فنعيدها هنا مصححة وهي : « وقال موسى : يا فرعون إني رسول من رب العالمين ، حقيق على ألا أقول على الله إلا الحق ، قد جئتكم ببينة من ربكم ، فأرسل معي بني إسرائيل » .

٢ — وجاء أيضاً في صفحة ١٧ في نفس المقال سطر ١٠ : إن مبادئ الإسلام ثابتة لا تتغير ، أما تحقيق هذه المبادئ فتجددة . وصحتها : . . . أما وسائل تحقيق هذه المبادئ فتجددة .

٣ — كما جاء في صفحة ١٨ سطر ٩ : . . . في مسألة الخلاف وغيرها . وصحتها في مسألة الخلاف وغيرها .

٤ — وجاء في صفحة ٢١ سطر ٢٣ : « من قاتل لتكون كلمة الله العليا . . . » وصحتها : « من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا . . . »

## الشرق الأوسط في دورانتقال

للأستاذ الدكتور محمد ضياء الدين الرئيس

أستاذ التاريخ الإسلامى بكلية دار العلوم — جامعة القاهرة

( ٢ )

« ما أكثر ما تنسى الشعوب ، وما أشد ما تفعل الغفلة عن التاريخ . .  
فهلا قرأت من خبر أمسك ما يعينك على فهم يومك الملىء !!! »  
« التحرير »

لم يكد « الاتحاديون » يفرغون من تهنئة أنفسهم بنجاح الحركة حتى هبت عليهم عاصفة لم يستطيعوا مقاومتها ؛ فإن دول الغرب قد خشيت أن يؤدي قيام الحركة إلى تجديد قوى الدولة العثمانية ، وبرئها مما أصيبت به من أمراض ، فبادروا إلى انتهاز الفرصة وتنفيذ مآربهم ، قبل أن يتم هذا التجديد .

بادرت « بلغاريا » إلى إعلان استقلالها ، فانقطعت منذ ذلك الوقت كل صلة بينها وبين الدولة ، وضمّت النمسا إليها مقاطعتي البوسنة والهرسك ( في يوجوسلافيا الآن ) ، وأعلنت « كريت » انضمامها إلى اليونان . ولم يستطع رجال العهد الجديد إلا أن يعترفوا بهذه التغييرات مضطرين ، بعد قليل ؛ فشجع هذا إيطاليا ، إذ أن ما اتفق عليه في مؤتمر « برلين » قد صار منقوضا ، فما كان منها إلا أن أرسلت أسطولها ، وبدأت باحتلال « ليبيا » وضرب طرابلس في عام ١٩١١ . وكان هذا عدوانا سافرا غاشما بدون أى مبرر ، كعمل القرصنة تماما . فأنار هذا غضب الأحرار في كل مكان ، ووقف العرب وقفة مجيدة إلى جانب الأتراك لنزلة هذا المعتدى الناصب والدفاع عن كيان ليبيا .

ثم اتحدت دول البلقان وكونت « حلفا مقدسا » في عام ١٩١٢ ، وهاجمت كلها تركيا ، فكانت حربا عنيفة ، ولم يكن « الاتحاديون » قد أتموا استعداداتهم ،



فاستولت الجيوش المهاجمة على مدن ومواقع عديدة وسقطت « أدنة » ، ووقفوا على بُعد قليل من العاصمة . واستبسل الأتراك في الدفاع ، ثم لما حانت لهم فرصة بوقوع الشقاق بين المتحالفين بدأوا الهجوم ، فاستردوا بعض المواقع ، وحموا شرفهم . وانتهت الحرب بماهدة بوخارست عام ١٩١٣ التي بها تم الاعتراف باستقلال كل دول البلقان وانفصالها نهائياً عن تركيا .

ولكن إذا كان هذا يعزى إلى سوء الحظ ، أو أنه كان أمراً متوقفاً نتيجة لما ابتليت به البلاد من فساد لعهد طويل ، ولم يُعطَ رجال العهد الجديد الوقت الكافي لمعالجته ، فإن الكوارث الكبرى التي كانت ستصيب الدولة بعد قليل ، والفشل الذريع الذي سيمنى به الحكام الجدد ، كان ذلك كله نتيجة أخطاء متعمدة ، وثمرة لسياسة ضالة ، وعاقبة اتباع مبادئ قد استوردت من الخارج ، وأريد تطبيقها بالقوة ، مع عدم ملائمتها لطبيعة الأمة وعدم اتفاقها مع تطورها التاريخي : ذلك أن أعضاء جمعية الاتحاد كانوا في الغالب من شباب تلقى تعليمه في بيئات الغرب ، وقضوا شطراً من حياتهم في عواصم أوروبا ، فنشأوا مفتونين بنظم الغرب وثقافته ، وحشوا أدمغتهم بنظريات ومبادئ لا تصلح للتطبيق في غير موطنها . كما أن من الحزن أن معرفتهم بالإسلام كانت ضئيلة ، وفهمهم لحقيقة مبادئه أو لطبيعة تاريخ أمتهم كان مضللاً ، أو على غير أساس . والذي يقطع به كثير من المؤرخين أن « جمعية الاتحاد » كانت خاضعة لتأثير الجمعيات « الماسونية » . وكان نفوذ اليهود غالباً وظاهراً وسط محيط تلك الجمعية ؛ فاليهود أمدوا الحركة بالمال وعاونوها بمختلف الوسائل ؛ فكانت فلسفة تلك الحركة إذن خليطاً من مبادئ غربية نظرية ، وعواطف عنصرية ضيقة ، ونزعات يهودية سياسية مخربة ؛ ولهذا فإن الحركة — في الأمد الطويل — لم يقدر لها النجاح ، بل أصابت الأمة بصدمة شديدة من خيبة الآمال ، وكانت في النهاية كارثة أطاحت ليس فقط بالنظام الجديد ورجاله ، بل بالدولة كلها ، وكادت تطيح بتركيا نفسها كأمة أو دولة مستقلة ، لولا جهود قام بها في آخر لحظة رجال جدد .

كانت الآفتان اللتان أودتا بالحركة هما اتجاهها غير الإسلامي ، ونزعتها العنصرية القومية الضيقة . فقد عمد رجال العهد الجديد إلى إهمال شأن الدين ، وآثروا أن يتبعوا سياسة مدنية أو زمنية أو حتى ( لا دينية ) . وهذه إحدى الثمرات المباشرة لاقصاهاهم

باليهود . كما أنهم بذلوا كل الجهد لإحياء العصية القومية ، وبرزت فكرة « التركية » والاعتزاز بالأصل التركي ، وعملوا على صبغ الدولة كلها بالصبغة التركية ، وأرادوا أن يحاولوا المستحيل ، وهو محو العصبية الأخرى وإزالة الأجناس المختلفة بمجرد إصدار التشريعات ، وبسلطان الإدارة وبالإكراه . كان إحياء القومية التركية وظهور هذه العصبية الذميمة هو العامل على ظهور قويات أخرى كنتيجة مضادة أو كرد فعل ، فما ظهر القومية العربية ، واضطر العرب إلى أن يقاوموا ، وكلما ازداد اضطهادهم وكلما ثقلت وطأة السياسية الاستبدادية عليهم ازدادت مقاومتهم وصلب عودهم وأمعنت شخصيتهم في البروز ؛ فنشطوا للمطالبة بحقوقهم ، وتآلفت الأحزاب ، ووضعت البرامج ، وأخذت الأهداف تتحدد .

كان من الأحزاب التي ألفت حزب يدعو إلى الاستقلال الذاتي للولايات سمي « حزب اللامركزية العثمانية » وكان مقره مصر ، وجمعية « العهد » تكونت من الضباط العرب في الجيش ، وجماعة « فتيان قحطان » ، وحزب « الإصلاح » وغير ذلك . وقد أساء الحاكمون فهم الناية من وجود تلك الجماعات ، فظنوا بها شرا ، وعمدوا إلى اضطهادها والتنكيل بأفرادها ، ولم يفهموا معنى المعارضة ، فكانت المعارضة في نظرهم ثورة على الوضع القائم ، وعصيانا ، ومخالفة لما يوجب القانون . وهكذا انقلبت تلك الحركة التي قامت من أجل حماية الحقوق الدستورية وإعلاء كلمة الأمة — انقلبت إلى نظام استبدادي طاغ ، وإلى حركة ضغط وإذلال ، ولم يصبح لأصحابها غاية إلا الاستئثار بالسلطة لذاتها ، والتمتع بالنفوذ ، بل العمل لجلب منافع شخصية أيضا .

ثم ارتكب « الاتحاديون » غلطتهم الكبرى فانضموا إلى جانب « ألمانيا » في الحرب العالمية الأولى . والواقع أن من أكبر الخطأ أن تقذف دولة ناهضة أو ناشئة بنفسها في أتون الحرب ؛ كما أن من الخطأ المطلق أن تشترك أمة دولة إسلامية في حرب للدول الأوروبية ، فليست لها أي مصالح مباشرة فيها . وإن هذا الاشتراك في الحقيقة لن يكون إلا استغلالا ، بل تسخييرا . وعين الاتحاديون أحد كبارهم وهو « جمال باشا » قائداً لجيوشهم في الشام ، فجند الرجال وجمع الأموال ، ولكنه ذلك مع

اتبع سياسة استبدادية في حكمه للشام ، وقاوم كل حركة ، وشك في كل هيئة . ولما وقع في يده بعض الأوراق التي أظهرت أنه حدث اتصال بين بعض رجال سوريا وجهات أجنبية تمحّول إلى وحش ضار ، وملأ السجون بالأحرار ، ونصب المشانق ، فأعدم ، وعذب ، ونفى . وذهب ضحية هذه السياسة الطاغية الحرقاء كثير من خيرة رجالات سوريا ، وشقى كثير من الأبرياء ؛ ولذا فإنه لقب بحق « جمال باشا الجزار » وهنا استقر اليقين وثبت الاعتقاد بأن لا حياة للعرب مع الترك على هذا الوضع ، وأن الأمة العربية يجب أن تعمل لاستقلالها ، ويجب أن تنتقل الأمانة إذ ذاك فتحمل هي عبء الدفاع عن الإسلام وأهله ، وتصير مركز ثقافته ومصدر تأثيره الروحي ، كما أراد الله لها ذلك من قبل ، حين حمت الإسلام في نشأته ، وناضلت تحت لوائه ، وأخضعت له أعداءه .

أثارت هذه السياسة الجائرة ، وهذا التعصب الذميم ، سخط العرب والأحرار في كل مكان . وكان « الحلفاء » وفي مقدمتهم انجلترا يسمعون لضم أنصار لهم ، فوجدوا في هذا الشقاق فرصتهم السانحة ، واتصلوا بالشريف « حسين » في مكة ، وكان هو على خلاف مع الحكومة التركية ومهدداً بالعزل ، ومنه الانجليز الأمانى أيضاً ، ووعدوه بالملك ، وأغدقوا عليه المال . ولما وقعت الاضطهادات وحدثت مجازر الشام كان الرأي العام العربي مهياً لإحداث انقلاب ؛ فتزعم « الحسين » الثورة وأعلن انضمامه للحلفاء وخروجه على الدولة ( ١٩١٦ ) وانقض — بتدبير الحلفاء — على الحامية التركية في مكة والمدينة فقتل وأسر ، ثم نادى بنفسه ملكاً وأخذ يكون جيشاً للزحف إلى الشمال لمساعدة الحلفاء . ولكن الانجليز في الوقت الذي اتصلوا فيه بالشريف ومنوه الأمانى كانوا قد اتصلوا أيضاً بجهات أخرى وعقدوا اتفاقات متضاربة : عقدوا معاهدة سرية بينهم وبين روسيا وفرنسا تهدف إلى اقتسام أقطار الشرق الأوسط عقب هزيمة تركيا ، وعقدوا اتفاق « سيكس — بيكو » بينهم وبين فرنسا لاقتسام نفس الأقطار بين الحليفين ، واتفقوا مع اليهود على إقامة وطن قومي لهم في فلسطين ، أو بعبارة أخرى التمهيد لهم لامتلاكها ، وأعلن هذا في التصريح الشهير الذي أذاعه « بلفور » وزير خارجية انجلترا في نوفمبر سنة ١٩١٧ .

وانتهت الحرب العالمية بهزيمة ألمانيا وتركيا هزيمة ساحقة (١٩١٨) وكانت القوات المتحالفة جاعلة قاعدتها مصر ومستمدة منها مواردها والأيدى العاملة ، وبمعونة الجيش العربي الذي اشتهر من شجاعته « عودة أبو طاية » ، كانت قد استطاعت أن تغزو فلسطين فسوريا واستولت على القدس ودمشق . وتنفيذاً لاتفاقية « سيكس - بيكو » احتلت فرنسا السواحل الشامية . وحين أتى وقت توزيع الأسلاب أخذت إنجلترا تنكر للعرب وتنسى أو تمارى في وعودها ، بينما اتفقت كلمتها مع فرنسا على اقتسام الشام فيما بينهما ، وعلى أن تفوز بالنصيب الأكبر من تركة الدولة العثمانية . ولم يكن هناك شك في وفائها لليهود ، بل منذ اللحظة الأولى أخذت تعمل لتحقيق آمالهم وتثبيت أقدامهم في فلسطين ، وعينت أول مندوب سام لها هناك « هربرت صموئيل » وهو إسرائيلي إنجليزي .

وهكذا كانت نتيجة الحرب العالمية الأولى أن إنجلترا ومعها اليهود قد احتلت فلسطين ، واحتلت فرنسا لبنان ، ثم سوريا كلها إذ أن الأمير فيصل بن الحسين قد قام بمحاولة لتأسيس حكومة عربية بمعونة السوريين في دمشق وأعلن نفسه ملكاً ١٩١٩ ، فلم تعش حكومته أكثر من أشهر ، وزحفت جيوش فرنسا فهدمت حكومته ونفته من سوريا ، ولم تنفعه إنجلترا حليفة والده . وقسمت فرنسا الشام إلى أجزاء ، وأثارت العصبيات والأحقاد الجنسية والطائفية لتستطيع أن تسود الجميع عن طريق سياسة التفرقة . واحتل الإنجليز أيضاً العراق . ولم تنفع إنجلترا حليفها أيضاً الملك حسين إذ أخذت جيوش المملكة السعودية التي قامت في نجد تهاجم بلاده في الحجاز نفسها ١٩٢١ ، وانتهى الأمر بإخراج الحسين نفسه من الحجاز وذهاب ملكه وانتهاء عهد أسرته ، فنفي إلى قبرص وظل بها إلى أن مات ، وقامت الدولة السعودية في الأراضي المقدسة .

ثم وجدت إنجلترا نفسها مضطرة تحت ضغط الحوادث لإرضاء هذه الأسرة ، فاقطعت من الشام جزءاً أسمته « شرق الأردن » ونصبت الأمير عبد الله بن الحسين أميراً عليه ، ثم ملكاً ؛ وليس هذا الجزء في الحقيقة إلا قاعدة حربية لها لتحمي فلسطين من الصحراء . كذلك عاونت على تنصيب الأمير فيصل ملكاً على العراق حيث أسس هناك أسرة أخرى ، ونفوذ إنجلترا هو السائد .



أما تركيا نفسها فقد سقطت فيها حكومة الاتحاديين بعد هزيمتهم ، واحتل الحلفاء القسطنطينية ، واحتل اليونان الأناضول ، وأشرقت على الهلاك ، لولا أن قام مصطفى كمال ورجاله بحركته وكون جيشاً فطرد اليونان وأبقذ بلاده من العدم . وبعد أن نال شروطاً طيبة في معاهدة لوزان عام ١٩٢٣ قرر إلغاء النظام القديم كله ، ومحا الخلافة التي كانت اسماً على غير مسمى . ومنذ ذلك الوقت بدأت تركيا حياة جديدة . وأما مصر التي كانت مفصولة عن العالم العربي وعن هذه التطورات باحتلال الإنجليز لها ، والتي اتخذوها مع ذلك قاعدة لحروبهم ومصدراً لتموينهم وسخروا عمالها وأساءوا معاملتها ، فقد قامت عقب انتهاء الحرب بثورة مجيدة عام ١٩١٩ اهتزت لها أركان الامبراطورية ، واضطرت إنجلترا إلى أن تعترف بمبدأ استقلالها ١٩٢٢ ، وبدأت فيها الحياة البرلمانية ، وأخذت منذ هذه الساعة تملأ الفراغ الذي تركته تركيا في حياة الأمم العربية والشرق الإسلامي . وما زالت تكافح من أجل استكمال استقلالها ، وما زالت تُعد نفسها للقيام بدور كبير في حياة العروبة والإسلام .

\*\*\*

وجد الشرق الأوسط الإسلامي إذن نفسه عقب الحرب العالمية الأولى في وضع جديد ، وقد انتقل من دور إلى دور ، وهدمت نظم وشيدت نظم ، وذهبت دول وجاءت أخرى . ولئن كان بعد هذا الانتقال وجد أنه قد صار إلى حالة سيئة وأصبح وجهاً لوجه أمام الاستعمار — فإن هذا هو الثمن الذي كان لا بد أن يدفعه ، نتيجة لما جنى عليه ضعف وإهمال وسوء إدارة الدولة العثمانية التي كان يتبعها أو كان مرتبطاً بها . وإنه لثمن باهظ حقاً ! إذ أنه كلفه حريته وكرامته . ولكنها ضريبة لا بد من دفعها ، وهي البوتقة التي يُصهر فيها معدنه من جديد ، وتمتحن قوة صلابته ومتانة جوهرة . لقد استقل بأمور نفسه على كل حال ، وصار هو المشرف على شئون نفسه ، وأخذ يفكر بجذ في الإصلاح وفي وضع النظم التقدمية .

إن إنجلترا وفرنسا والصهيونية كانت هي الثلاث الخبيث الكريه الذي كان يهدد الشرق ومستقبله . والآن — بعد أن ظفرت سوريا ولبنان باستقلالهما وطردت فرنسا فصار عدوانها قاصراً على المغرب العربي — بقيت إنجلترا والصهيونية — ومن

ورائهما أمريكا تؤيدها — هما العدو : انجلترا بما لها من قواعد في مصر « السويس »  
وفي شرق الأردن ، والمراق « اللبنانية » — وأخيراً في ليبيا أيضاً — والصهيونية  
بقاعدتها اليهودية الأمريكية الخطيرة في (إسرائيل) . وإن الواجب الأعظم اليوم هو  
مكافحة هذا العدو وإزالته عن قواعده . إن واجب هذه الأقطار كلها أن تتعاون  
عسكرياً وسياسياً ، مادياً وروحياً لمقاومة هذا الشر والقضاء على هذا الخطر .  
وعلى كل فقد بدأت المعركة ، وصار مستقبل الشرق الأوسط الإسلامي — بعد  
انقضاء دور الانتقال الذي وصفناه — بين يديه : صار مستقبله وحرية رهن  
كفاحه وجهاده .



المجلة

#### رجاء

نرجو من حضرات المشتركين الاتصال بإدارة « المسلمون » رأساً بشأن  
كل شكوى خاصة بتوزيع المجلة .  
وعلى حضرات المشتركين الذين يرغبون في تغيير عناوينهم أن يطلبوا ذلك  
قبل موعد صدور العدد بشهر على الأقل . « الإدارة »

## المحارب الخسيس

أتدري من أعدى عدوك وأقدرهم على خادعتك ؟ !

لأنه نفسك ، التي بين جنبيك !  
منها تنزع نوازغك ، ومن أهوائها وشهواتها يستل الشيطان كل أسلحته ليقهرك ... والمركة بينكما قديمة دائمة ، جيش هو لها جيشه وأعلمه : « قال فيها أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم ، ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين » ولكنك في معركتك معه سلاح الفطرة - إن عشت بها - « لأنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون إنما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون » ؛ وممك دائماً ذخيرة لا تملك الشياطين بابها : يقول قتاده « أتاك الشيطان يا ابن آدم من كل وجه غير أنه لم يأتك من فوقك ، لم يستطع أن يحول بينك وبين رحمة الله » !!

\*\*\*

أو تدري أيها الإنسان ما هو أشد ما ينال الشيطان منك ؟  
لأنه شيء من جنس جريمته التي ارتكبها هو أول مرة .. يوم تمرد على الله وقال « أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين » فكان جواب الله عليه « قال فاهبط منها فأكون لك أن تسكب فيها فاخرج إنك من الصاغرين » .  
« أنا » هذه التي قالها فطرد ، هي التي ينشد لها فيك ، ويوقظها بكل حيلة في نفسك ، وفنه في ذلك عات رهيب ...

لأنها الجريمة التي يفض الله لها أشد الغضب ؛ يقول صلى الله عليه وسلم : « يقول الله تعالى : الكبرياء ردائي والمظلمة إزارى فن نازعنى واحداً منهما ألقيته في جهنم ولا أبالي ... »  
لأنها النزعة الشريرة التي يبدأ بها منطلق كل جريمة ، وتغيب بها عن النفس كلمة الله . ليقول فيها الهوى كلمته غير منازع ... « رأيت من اتخذ لإلهه هواه : أفأنت تسكون عليه وكيلاً » ؟ ...

\*\*\*

وأخطر ما تسكون فتنة هذه الـ « أنا » على الذين لهم بالدين علم وفي الجهاد له سابقة ...  
لأنه لا يستطيع أن يدعو هؤلاء إلى أن يكفروا بشيء عرفوا وجه الحق فيه ، ولا أن يتخلوا عن عمل آمنوا به وأصروا عليه ، ولكنه يستطيع أن يأتهم من الناحية الأخرى من حيث لا يدرون ، فيقول لأحدهم : « إنك عالم ، وذو فضل ، وذو سابقة ، هاهم أولاء الناس يستمعون إليك ، ويقرأون لك ، ويعجبون بك .. أنت ... أنت ... أنت » ... ولا يزال يلج عليه من كل جانب ولذة « أنت » هذه لذة فائنة ، وضراوتها قاسية ومزائنها شتى ؛ حتى إذا غلبه على أمره وأداره إلى نفسه يتعبد في محرابها الخسيس ... لم يضربه بعد ذلك علمه ولا سابقته مادام يعيش في مثل جريمته التي ارتكبها هو أول مرة ، بل إن علمه وسابقته حينئذ من أنفع جنده ..  
روى الإمام أحمد في كتاب الزهد « أن رجلاً من بني إسرائيل تعبد ستين سنة في طلب حاجة ، فلم يظفر بها ، فقال في نفسه : والله لو كان فيك خيراظفرت بحاجتك ، فأناه آت في منامه قال له : رأيت ازدراك نفسك تلك الساعة ، فإنه خير من عبادتك تلك السنين » .

# فِي ظِلَالِ السُّنَّةِ

## صور من التربية النفسية في الإسلام

للأستاذ عبد الوهاب حمودة

روي الترمذي عن أبي العباس عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما قال :  
كُنْتُ خَلْفَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا فَقَالَ لِي : « يَا غُلَامُ إِنِّي أَعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ :  
أَحْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ ، أَحْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ ، تَعَرَّفْ إِلَى اللَّهِ فِي الرِّخَاءِ ،  
يَعْرِفَكَ فِي الشَّدَةِ ، وَاعْلَمْ أَنَّ مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبِكَ ، وَمَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ  
لِيُخْطِئَكَ ، وَاعْلَمْ أَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ ، وَأَنَّ الْفَرَجَ مَعَ الْكَرْبِ ، وَأَنَّ مَعَ  
الْعُسْرِ يُسْرًا » .

\*\*\*

لقد اشتمل هذا الحديث على مواد من منهج التربية الإسلامية للنفس الإنسانية ،  
وضعها الربّ الأول ، والمرشد الأعظم ، صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ .

أولى تلك المواد هي قوله صلى الله عليه وسلم :

« أَحْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ ، أَحْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تَجَاهَكَ » .

ثانيها : « تَعَرَّفْ إِلَى اللَّهِ فِي الرِّخَاءِ ، يَعْرِفَكَ فِي الشَّدَةِ » .

ثالثها : « وَاعْلَمْ أَنَّ مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبِكَ ، وَمَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ » .

رابعها : « وَاعْلَمْ أَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ » .

خامسها : « وَأَنَّ الْفَرَجَ مَعَ الْكَرْبِ » .

سادسها : « وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا » .

### المادة الأولى

« أَحْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ ، أَحْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تَجَاهَكَ » .

المراد بحفظ الله ، حفظ حدوده وحقوقه ، وأوامره ونواهيه . وحفظ ذلك



يكون بالوقوف عند أوامره بالامتثال ، وعند نواهيه بالاجتناب ، فلا يتجاوز ما أمر به وأذن فيه ، إلى ما نهى عنه .

فمن فعل ذلك فهو من المحافظين لحدود الله الذين مدحهم الله في كتابه وقال عز وجل : « هذا ما توعدون لكل أبواب حفيظ . من خشى الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب » .

ومن أعظم ما يجب حفظه من أوامر الله الصلاة ، وقد أمر الله بالمحافظة عليها فقال تعالى : « حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى » ومدح المحافظين عليها بقوله : « والذين هم على صلاتهم محافظون » .

ومما يؤثر بحفظه الأيمان ، قال الله عز وجل : « واحفظوا أيمانكم » فإن الأيمان يقع الناس فيها كثيراً ، ويهمل كثير منهم ما يجب بها فلا يحفظه ولا يلتزمه .

ومن ذلك حفظ الرأس والبطن كما في حديث ابن مسعود المرفوع : « الاستحياء من الله حق الحياء أن تحفظ الرأس وما وعى ، وتحفظ البطن وما حوى » .

وحفظ الرأس وما وعى يدخل فيه حفظ السمع والبصر واللسان من المحرمات ، وحفظ البطن وما حوى يتضمن حفظ القلب عن الإصرار على ما حرم الله .

وقد جمع الله ذلك كله في قوله : « إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا » .

ويتضمن أيضاً حفظ البطن من إدخال الحرام إليه من المآكل والمشرب .

ومن أعظم ما يجب حفظه من نواهي الله عز وجل اللسان والفرج .

ومن حفظ حدود الله وراعى حقوقه حفظه الله ؛ فإن الجزاء من جنس العمل كما قال تعالى : « وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم » .

وحفظ الله لعبده يدخل فيه نوعان :

النوع الأول : حفظه له في مصالح دنياه ، كحفظه في بدنه وولده وأهله . ومن حفظ الله في صباه وقوته ، حفظه الله في حال كبره ، وضعف قوته ، ومتممه بسمعه وبصره ، وحوله وقوته وعقله .

وقد يحفظ الله العبد بصلاحه بعد موته في ذريته كما قيل في قوله تعالى : « وكان أبوهما صالحا » .

النوع الثاني : من الحفظ : وهو أشرف النوعين ، حفظ الله للعبد في دينه وإيمانه ، فيحفظه في حياته من الشهوات المضلة ، ومن الشهوات المحرمة ، ويحفظ عليه دينه عند موته فيتوفاه على الإيمان .

ومن حفظ حدود الله وراعى حقوقه ، وجد الله معه في كل أحواله حيث توجه ، يحوطه وينصره ، ويحفظه ويوفقه ويسدده : « إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون » . قال قتادة : من يتق الله يكن معه ، ومن يكن الله معه فعه الفئة التي لا تغلب ، والحارس الذي لا ينام ، والهادى الذى لا يضل .

### المادة الثانية

« تعرف إلى الله في الرخاء ، يعرفك في الشدة » .

فعرفة العبد لربه نوعان :

أحدهما : المعرفة العامة ، وهي معرفة الإقرار به والتصديق والإيمان . وهي عامة للمؤمنين .

والثاني : معرفة خاصة ، تقتضى ميل القلب إلى الله بالسكينة ، والانقطاع إليه والأنس به ، والطمانينة بذكره ، والحياء منه ، والهيبة له . وهذه المعرفة الخاصة هي التي يدور حولها العارفون .

ومعرفة الله أيضاً لعبده نوعان :

أحدهما : معرفة عامة ، وهي علمه تعالى بعباده ، وإطلاعه على ما أسروه وأعلنوه .

والثاني : معرفة خاصة ، وهي تقتضى محبته لعبده ، وتقريبه إليه وإجابة دعائه وإنجاءه من الشدائد ؛ وهي المشار إليها بقوله صلى الله عليه وسلم فيما يحكى عن ربه : « ولا يزال عبدي يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنتُ سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ، ويده التى يبطش بها ، ورجله التى يمشى بها ، ولئن سألتنى لأعطينه ، ولئن استعاذنى لأعيدنه » .

وإنما طلبت هذه المادة إلى المسلم أن يتعرف إلى الله في الرخاء ، ويذكره في البسراء ، ويعرفه ربه في الشدة ، ويراعيه في المحنة .

لأن معرفة الله في الشدة أمر مغرور في طبيعة الإنسان ، ويفعله حتى الكفار والملحدون . وقد ذكر هذا في القرآن الكريم مراراً ، فقال تعالى مخاطباً المشركين : « قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعا وخفية ، لئن أنجانا من هذه لنكونن من الشاكرين . قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب ثم أنتم تشركون » . وقال تعالى أيضاً : « وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه ، فلما نجاكم إلى البر أعرضتم وكان الإنسان كفوراً » .

وقال تعالى في وصف المشركين : « فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين ، فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون » .

وقال تعالى في وصف الإنسان الجاحد المسرف على نفسه : « وإذا مس الإنسان الضر دعانا لجنبه أو قاعداً أو قائماً ، فلما كشفنا عنه ضره مر كأن لم يدعنا إلى ضره مثله ، كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون » .

وإن فرعون وقد كان طاعياً ناسياً لذكر الله « فلما أدركه الفرق قال آمنت » فقال الله تعالى : « الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين » .

قال الضحاك بن قيس : اذكروا الله في الرخاء ، يذكركم في الشدة ، إن يونس عليه السلام كان يذكر الله تعالى ، فلما وقع في بطن الحوت قال الله تعالى : « فلو لا أنه كان من المسبحين . للبت في بطنه إلى يوم يبعثون » .

أما في الرخاء وأزمان السراء فلا يتعرف إلى الله إلا المؤمن الذي يتقسط قلبه ، وصفا وجدانه ، فيذكر ربه في كل لحظة ، ويتعرف إليه في كل نسمة .

### المادة الثالثة

« واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك ، وما أصابك لم يكن ليخطئك » . هذه المادة يقصد منها الرسول صلوات الله عليه ، أن تكون بلسماً في الملمات ، ومسكناً في الأزمات ، ورداً إلى السياسة العليا عند المصائب والبليات .

فإن العبد إذا بذل كل ما في طاقته ، واجتهد ما وسعه الجهد في الوصول إلى غايته ، واستخدم كل الوسائل التي في إمكانه ، ثم أخفق ولم يصل ، وانهزم ولم ينتصر ، وفشل ولم ينجح ، فعليه أن يأخذ بسرعة من هذه المادة الثالثة ، ليفقه معنى قوله تعالى :

« قل كلُّ من عند الله » وقوله تعالى : « ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها » وقوله تعالى : « قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم » فإنه سبحانه بيده الأمر الأعلى في الخير والشر ، والنعم والنقم ، وهو وحده الذي يُعطى ويمنع ، ويسلب ويمنح : « قل اللهم مالك الملك ، تؤتي الملك من تشاء ، وتنزع الملك ممن تشاء ، وتُعز من تشاء ، وتُد من تشاء ، بيدك الخير ، إنك على كل شيء قدير »

عند ذلك تعود إليه طمأنينته ، ويرجع إليه هدوءه ، ويستأنف حينئذ نشاطه وسعيه للجولة الثانية ، وهكذا سنّة الله في الحياة : « وتلك الأيام نداؤها بين الناس » .  
فينبغي إذن لمن أصابته ضراء ، أو مسته بأساء ، أن يبحث أولاً عن سبب ذلك في نفسه وبحاسنها وبمعاتبها ، قال تعالى : « ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك » وقال تعالى : « وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم » .  
فإن غمّ عليه ولم يعرف لذلك سبباً ، فلا يجعل للحزن عليه سبيلاً إلى قلبه ، بل يرجع إلى السياسة الإلهية العليا ، ويعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه ، وما أخطأه لم يكن ليصيبه .

روى مسلم في صحيحه عن عبد الله بن عمر قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « كتب الله مقادير الخلق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة ، وعرشه على الماء » .

وفي صحيحه أيضاً عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « استعن بالله ولا تعجز ، وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كذا وكذا ، ولكن قل قدر الله ، وما شاء الله فعل ، فإن لوّاً تفتح عمل الشيطان » .

#### المادة الرابعة

« واعلم أن النَّصْر مع الصبر » .

الصبر احتمال الآلام من غير تذمر ولا معارضة ، وهذه المادة موافقة لقول الله عز وجل : « قال الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة



يأذن الله ، والله مع الصابرين » وقوله تعالى : « إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين ، وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين يأذن الله ، والله مع الصابرين » .

ليس معنى هذا أن الصبر بمنزلة التيممة متى علقها الشخص ظفراً الله تعالى ، بل معناه أن في الصبر مضاعفةً للقوة ، وحملًا على المصابرة والمداومة ، ومن كان مستمرًا مثابرًا ، وجَلَدًا مصابرًا ، فهو جدير بالفوز والغلبة .

قال عمر رضي الله عنه لأشياخ من بني عبس : بَمَ قَاتَلْتُمُ النَّاسَ ، قالوا : بالصبر ، لم نلق قومًا إلا صبرنا لهم ، كما صبروا لنا .

وقال بعض السلف : كلنا يكره الموت وألم الجراح ، ولكن تتفاضل بالصبر .  
والصبر يكون في جهاد العدو الظاهر وهو جهاد الكفار ، ويكون في جهاد العدو الباطن وهو جهاد النفس والهوى ؛ فإن جهادها من أعظم الجهاد كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : « المجاهدُ من جاهد نفسه في الله » .

فمن صبر على مجاهدة نفسه وهواه وشيطانه غلبه ، وحصل له النصر والظفر ، وملك نفسه ، فصار ملكاً عزيزاً .  
ومن جزع ولم يصبر على مجاهدة ذلك ، غلب وقهر وأسر ، وصار عبداً ذليلاً أسيراً في يد شيطانه وهواه .

فقوله صلى الله عليه وسلم : « إن النصر مع الصبر » يشمل النصر في الجهادين : جهاد العدو الظاهر ، وجهاد العدو الباطن ؛ فمن صبر فيهما نُصِرَ وظفر ، ومن لم يصبر فيهما وجزع غلب وقهر .

### المادة الخامسة

« وَأَنْ الْفَرَجَ مَعَ الْكَرْبِ » .

يشهد لهذه المادة قوله تعالى : « وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطروا وينشر رحمته » .

وقال تعالى حاكياً عن يعقوب عليه السلام أنه قال لبنيه : « يا بني اذهبوا فتحسّسُوا من يوسف وأخيه ، ولا تيأسوا من روح الله » .

لأن الدين الإسلاميَّ حريص كل الحرص على أن يحارب اليأس في النفوس ،

وينزع القنوط من الصدور : « قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله » وقال تعالى : « ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون » وقال تعالى : « فلا تكن من القانطين » .

فإن الله يربى عبده على السراء والضراء ، والنعمة والبلاء ، فيستخرج منه عبوديته ، ويصقل منه نفسيته ؛ فإن العبد على الحقيقة هو من قام بعبودية الله على اختلاف الأحوال في البأساء والنماء ، والسراء والضراء . أما عبد العافية والسلامة ، الذي يعبد الله على حرف ، فإن إصابه خير اطمان به ، وأن إصابته فتنة انقلب على وجهه ، فليس من عبيده الذين اختارهم لعبوديته .

فلا ريب أن الإيمان الذي يثبت في أوقات الابتلاء والعافية ، هو الإيمان الحق ، واليقين الصدق ، أما إيمان العافية فلا يكاد يصحب العبد ، ويبلغه منازل الصديقين . فالابتلاء والكرب ، كبر العبد ، وتحك إيمانه ؛ فإما أن يخرج تبرأً أحمر ، وإما أن يخرج زغلاً مخضاً .

### المادة السادسة

« وأن مع العسر يسراً » .

هذه منتزعة من قوله تعالى : « سيجعل الله بعد عسر يسراً » وقوله عز وجل :

« فإن مع العسر يسراً . إن مع العسر يسراً » .

ومن لطائف أسرار اقتران الفرج بالكرب واليسر بالعسر أن الكرب إذا اشتد وعظم وتناهى ، وحصل للعبد اليأس من كشفه من جهة المخلوقين تعلق قلبه بالله وحده ؛ وهذا هو حقيقة التوكل على الله وهو من أعظم الأسباب التي تطلب بها الحوائج ، فإن الله يكفي من توكل عليه ، كما قال تعالى : « ومن يتوكل على الله فهو حسبه » .

روى بن جرير في تفسيره أن رجلاً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقال له عوف بن مالك الأشجعي كان له ابن ، وأن المشركين أسروه فكان فيهم ، وكان أبوه يأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فيشكو إليه مكان ابنه وحاله التي هو بها وحاجته ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمره بالصبر ويقول له إن الله سيجعل

لك فرجا . فلم يابث بعد ذلك إلا يسيراً حتى انفلت ابنه من أيدي العدو ، فرّ بغنم من أغنام العدو فاستاقها فجاء بها إلى أبيه ، وجاء معه بغنم قد أصابه من الغنم فنزلت فيه هذه الآية : « ومن يتق الله يجعل له مخرجا ، ويرزقه من حيث لا يحتسب » .

قد تقع أم أو أشخاص في ضرب من ضروب العسر ، ثم يستولى عليهم الضعف في همهم ، فيقعّدون عن الخلاص مما أطبق عليهم منه ، فيدوم لهم العسر ، وقد يفنون وتنشأ فيه أعقابهم ؛ مع أنهم لو استعملوا ما وهبهم الله من القوى للخلاص مما نزل بهم ، لانكشف عنهم بلا ريب ذلك العسر ، ولانفرج ذلك الضيق .

أما الذين لا بصيرة عندهم في تصريف تلك المواهب الإلهية ، بل يطلبون أن ينتهوا إلى الغايات بغير بدايات ، وأن يصلوا إلى المقصد بغير وسائل ، فلا يستعملون عقولهم ، ولا عزائمهم في دفع ما يحل بهم ، وليس لهم ثقة بربهم ، فيعملوا معتمدين عليه — هؤلاء لا بد أن يحقق بهم ذلك العسر ، ويستولى عليهم ذلك الضيق ، من كل جانب ، حتى يألفوا الذل ، ويستنيموا إلى الألم ، لأنهم خالفوا سنن الله الكونية ، وأهملوا النواميس الإلهية : « فإن مع العسر يسرا . إن مع العسر يسرا » .

ونسوا قول نبيهم صلوات الله عليه فيما رواه البزار في مسنده : « لو جاء العسر فدخل هذا الحجر ، لجاء اليسر حتى يدخل عليه فيخرجه » .

### من وصايا لقمان

اغلب غضبك بحلمك ، ونزقك بوقارك ، وهواك بتقواك ، وشكك بيقينك ، وباطلك بحقك ، وشحّك بمعروفك .

كن في الشدة وقوراً ، وفي المكاره صبوراً ، وفي الرخاء شكوراً ، وفي الصلاة متخشعاً ، وإلى الصدقة متسرّعاً .

# حَضَارَةُ رُبْعِ قَرْنٍ

## في عقل الدعوة الإسلامية في الشام

الأستاذ على الطنطاوى

المستشار في محكمة النقض السورية

هذا بحث ولد قبل استكمال مدة الحمل ، ولست أدري أيموت من يومه أم يمنّ الله عليه فيكتب له الحياة ، ذلك أنى كنت أدوّن عناصره ، وأجمع أجزائه ، ليبنىء تاريخنا كاملا للدعوة الإسلامية في بلاد الشام خلال ربع القرن الماضى ، فجاءتنى برقية الأخ الأستاذ سعيد رمضان تستعجلنى ، فكتبتة فى مجلس واحد وأنا موقن أنى نسيت كثيرا من الحقائق التى يجب أن تقال فى هذا المجال ، وإن كنت موقنا أيضا بأننى لم أقل إلا حقا .

وأنا أتردد من ربع قرن على مصر والعراق ولبنان ، وأقيم فى كل منها الشهور الطوال ، أو السنة كلها أحيانا ، والشام بلدى ، وأعرف فى كل من البلاد الأربعة ، وفى الحجاز أيضا ، الصفوة من علمائه والدعاة إلى الله فيه ، وأعمالهم وجهودهم ، وكنت على أن أحاول كتابة فصول فى تاريخ الدعوة فيها جميعا ، ثم رأيت أن أقصر على الشام وأدع لغيرى ممن هم أعلم منى كتابة الباقي .

\*\*\*

لما قدمت مصر أول مرة كانت الدعوة الإسلامية فيها منحصرة فى الأزهر المعمور ، والرجال الذين تخرجوا فيه أو على أسلوبه ، وفى المدارس التى كانت تنجو منحنى الأزهر ( وإن كان جلّ عنايتها بالعلوم اللسانية ) كدار العلوم ، وفى أفراد معدودين من غير الأزهريين ، أخصّ بالذكر منهم : أحمد تيمور باشا رحمه الله ، الذى كان أمة وحده فى دينه وعلمه وخلقه وتحقيقه وحيائه وتواضعه ، ومن هو أقرب الناس شهاً به فى ستمته وصمته وأدبه وعلمه ، أستاذنا السيد الخضر حسين مدّ الله فى عمره ، وخالى وأستاذى محب الدين الخطيب الذى كان أول عامل على تنظيم الدعوة الإسلامية



في مصر ، كما كان أول عامل على إحياء الفكرة العربية في الشام من قبل ، والطائفة المختارة من إخواننا كالكتور الدرديري ، والأساتذة محمود شاكر وعبد السلام هارون وعبد المنعم خلاف ، وآخرين لا تحضرني الآن ( من المجلة ) أسماؤهم . وكان مقرهم المطبعة السلفية في شارع الاستئناف عند الأستاذ الخطيب ، وهناك عرفت بعضاً منهم ، وعرفت بعضاً في دار العلوم العليا ، وقد دخلتها حوالي سنة ١٩٢٩ ولم أتمها<sup>(١)</sup> ، وفي مجلة المنار .

والأزهر وإن ظل دهرًا طويلًا المعقل الإسلامي من هجمات الإلحاد ، والمصباح الهادي في ظلمات الجهل — قد اقتصر عمله على التعليم دون التوجيه الاجتماعي ، واقتصر التعليم فيه على قراءة كتب معينة ، من كتب التأخرين ، وصرف الجهد كله في حل العقد في ألفاظها وكشف الغامض من معانيها ، أي أن المقصد من التعليم كان الكتاب لا العلم ( كما قال الشيخ محمد عبده ) ، وكانت كتب الأئمة الأولين في الفقه والعربية وغيرها منسية متروكة لا يكاد أحد يرجع إليها ، وكان من هذه العلوم ما هو عبث لا طائل تحته ، ولا يكاد ينفع في دنيا ولا دين ، كعلم الكلام ( النسفية والسنوسية والمواقف وأشباهاها ) وعلم المنطق ، ولقد كاد يسبقني القلم فألحق بها الكتب الأزهرية في البلاغة . . . وهي أقوى العوامل في إبعاد الطلاب عن البلاغة !

وكان عمل ( المنار ) وتلك الطائفة من العلماء الأخيار منحصراً في بقعة ضيقة وأفراد قلائل ، لا يتعمدهم أثره ، ولا يصل إلى جماهير الشعب ولا إلى طلاب المدارس . ولم يكن للدعوة من الصحف إلا المجلة الأسبوعية الجديدة ( يومئذ ) مجلة الفتح التي أنشأها الأستاذ محب الدين . ولم أعد ( المنار ) من الصحف لأنها أولاً مجلة شهرية ، ولأنها علمية ترتفع ثانياً عن أفهام الشباب ومدارك الأوساط من الناس ، ولأنها لا تسكاد تباع في الأسواق ولا يقرؤها إلا المشتركون فيها ، لذلك كله لم تتصل بالناس اتصالاً مباشراً ، وإن كان لها أثر غير مباشر : أثر ظاهر ، في توجيه الفكر الإسلامي الحديث ، وإن قراءها على قلوبهم كانوا منبئين في جميع بلاد الإسلام ، وكان لهم في بلدانهم منزلة عالية ومكان مرموق .

(١) وقد علمت بعد أنه كان من رفاقنا فيها الأخ ( لسان الدين ) الأستاذ سيد قطب .

فكان الناس قسمين : مشايخ وأفندية ، وكان الشعب بينهما متدينا على جهل بحقائق الدين ، متمسكا بالإسلام على مزج لكثير من البدع والخرافات بالإسلام ، كان يجمع بين شهادة أن ( لا إله إلا الله ) ، وبين العكوف على القبور وسؤال أصحابها مالا يقدر عليه إلا الله ، ومن أنكر عليهم شيئا من ذلك وصموه بالوهابية ، وقد لا يزال القارئ الشاب اليوم بهذه الوصمة ، ولا يرى فيها شيئا ، ولكنها كانت يومئذ من الوصمات الكبار ، وأذكر أنني علقت مرة في (علقة) الأستاذ في المدرسة ، ونالت قديم عصاه ، لأنني ضبطت بالجرم المشهود ، حين أمسكت واقفا على درس الشيخ عبد القادر بدران في جامع بني أمية في دمشق . . .

هذه الصورة التي صورت بها مصر ، قبل ربع قرن ، هي ( مصفرة ) صورة الشام في تلك الأيام . .

كان في الشام مشايخ<sup>(١)</sup> أجلاء ، من أوعية العلم وصدور العلماء ، ولكنهم كانوا (على الغالب) جاهلين بأحوال الناس ، يفكرون من كل جديد ، ويطمثون إلى كل قديم ، عجزوا عن الدعوة إلى الله بالأساليب العصرية الجديدة ، وعن إدراك ( عقلية ) الشباب ، فانسحبوا من المعركة ، وأخلوا الميدان ، وانطوا على نفوسهم ، واعتكفوا في مدارسهم ومساجدهم .

و ( أفندية ) يقودهم من كانوا يسمون في الشام رجال الرعيل الأول . . . من

(١) أذكر منهم على سبيل المثال المحدثين المحافظين الشيخ بدر الدين الحسني والسيد محمد بن جعفر السكتاني رحمتهما ، والفقهاء الجليلين المبرزين الشيخ عبدالحسن الأسطواني والشيخ سليمان الجوزدار شيخ القضاء والإفتاء مد الله في عمرهما ، ومن فقهاء الحنفية الشيخ عطا السكسم المفتي السابق ( رحمه الله ) والمفتي الحالي الشيخ محمد الأسطواني والشيخ أبا الخير الميداني والشيخ نجيب كيوان والشيخ مصطفى الطنطاوي ( رحمهما الله ) ومن فقهاء الشافعية الشيخ أحمد الجوبري ( رحمه الله ) والشيخ صالح العقاد والشيخ هاشم الخطيب والشيخ علي التكريتي ( رحمه الله ) والشيخ محمود ياسين ( رحمه الله ) والصوفي المتكلم الشيخ أمين سويد ( رحمه الله ) والعالم الأديب الشيخ توفيق الأبوي ( رحمه الله ) ومن فقهاء المالكية الشيخ محمد الكافي والشيخ الطيب مفتي المالكية ( رحمه الله ) والشيخ حسن الشطي والشيخ جميل الشطي مفتي الحنابلة والواعظ الشيخ علي الدقر ( رحمه الله ) والساني نظار الشيخ بهجة البيطار والعالم الصوفي السيد سعيد حمزة نقيب الأشراف والداعية الشيخ صلاح الدين الزعيم الشافعي والفقهاء الحنفي الصوفي الشيخ إبراهيم الغلايبي والمالكي الصوفي الشيخ محمد الهاشمي والواعظ الأديب الشيخ عبد القادر الإسكندراني ( رحمه الله ) والفقهاء الأصولي الشيخ محمود العطار ( رحمه الله ) .

الوطنين ، وكانوا ( على الغالب ) جاهلين بالإسلام ، ليس في نفوسهم منه إلا صور مشوهة ، وكانوا حرباً على أهله والداعين إليه ، وإن كان لهم فضل العمل على دفع الاستعمار وتحقيق الاستقلال . وأستطيع أن أمثل عليهم ، وعلى موقفهم من الإسلام ، باثنين : الأستاذ الكبير ساطع الحصرى شيخ الربيعين من العرب ، الذى حارب الدعوة الإسلامية عمره كله ، بقلمه ولسانه وسلطان وظيفته ( كلما ولى وظيفة ) حرباً عامية منظمة . وكان أسلوبه فى محاربتها ، هو العمل على إحلال العربية محل الإسلامية ، وهى بذاتها دعوة الجاهلية التى نهى رسول الله عنها ، وبين أن صاحبها ليس منا ، وإقامة برامج المدارس على هذا الأساس الواهى .

والوطنى المعروف نحرى البارودى ، وهوزعيم شعبى محبوب ، كان له فى كل حركة وطنية عمل ، ولكنه ( مع الأسف ) حرب على الدعوة الإسلامية ، وأسلوبه فيها أسلوب المستهزئين من كفار قريش : وهو سوق النكات العامية والسخرية بالمشايخ ، وتركيب النوادر عليهم على نحو ما يركبها بعض الملحدين من النصارى على قسوسهم ورجالهم . وهناك أسلوب ثالث هو نفث هذا الحمق الدفين على المشايخ ، ( الذين يمثلون الفكرة الإسلامية ) بضربهم بسيف الحكومة ، وقد طبق هذا الأسلوب على أفضع شكل ، حينما ولى الحكم فى الشام سعيد الله الجابرى الحلبي ، وهو أيضاً من رجال الرعيل الأول . . . وبطش بالمشايخ ، وأودع كثيراً منهم السجون ، وهاج بهم الجرائد : لسبب تافه ليس هذا موضع بيانه .

وسبب هذا كله المشايخ ، أعنى بعضهم ، فهم الذين طبعوا فى نفوس هؤلاء الناس تلك الصورة المشوهة للإسلام . المشايخ الذين طالما لقينا من تكفيرهم من يقول بكروية الأرض وحركتها ومن يدرس الجغرافيا والكيمياء والطبيعة ! وقد صرح لى بذلك الأستاذ ساطع الحصرى فى القاهرة سنة ١٩٤٧ ، فقلت له :

— إن هذا العذر من مثلك غير مقبول ، لأنك تستطيع فى قوة عقلك ، وسعة علمك ، أن تعرف حقيقة الإسلام من مصادره وتخلّى ذهنك مما تقول أن أولئك المشايخ قد وضعوه فيه ، وأن تدرسه من جديد فتري أن الإسلام ليس ديناً جامداً ولا منافياً للحضارة ، ولا معارضاً للمنطق ، وأنه هو الطريق إلى ما نسعى إليه جميعاً من استعادة أجدادنا ، واسترداد مكاننا بين الأمم .

ولو فعل ذلك الأستاذ لصار من أقوى دعاة الفكرة الإسلامية ، أما السيد نغرى البارودى وأمثاله من رجال الرعيل الأول ... وصحفي ... الرعيل الأول ... فلا تنفع معهم مناظرة ، ولا يفيد جدال ، وهل يُناظر الهازل ، ويجادل الساخر ، ويناقش المناقشة العلمية من يتكلم عما لا يعلم ، ويهرف فيما لا يعرف ؟ وهل تجادل في فائدة الهندسة ، من يسخر من الهندسة وأهلها ، كما فعل أحمد بن ثوابه ( راجع طبقات الأدباء ) ويهجوهم بالنكات والنوادر والمضحكات ، وهو بمعلم يدرس الهندسة في عمره ، وليس يدرى أتبحث في السطوح والأجسام ، أو في قواعد طبخ الباذنجان ، وسيرة كسرى أنوشروان ؟

\*\*\*

وكانت الجرائد معهم ، وكان لهم من الشعب المناضل مكان القيادة ، فكان ذلك لهم ، حتى استطاع نغرى البارودى أن يجمع مرة في خطبة واحدة في الجامع الأموى ، بين التعريض بدم شيخ الإسلام في ديار الشام الشيخ بدر الدين أخذاً له بجزيرة ابنه الذى كان رئيس الوزراء ، والتصريح بمدح البطريك المارونى في لبنان . وقال ، إنه يحجج إلى بكرى ( مقر البطريك ) ، نعم ، بهذا اللفظ وفي جامع بنى أمية .

وبقى المشايخ في عزلتهم حتى أخذت الحماسة الدينية مأخذها من اثنين منهم ، هما : الواعظان الشعبيان ، العالمان الشيخ على الدقر ، والشيخ هاشم الخطيب ، وكان الأول أكثر شعبية وصوفية ، والثانى أعلم ، فقاما بحركة هزت دمشق وضواحيها هزاً عنيفاً ، وجددا الدعوة إلى الدين بعزيمة صادقة ، وهمة وحماسة وعنفة شديدة ، فأقبل عليهما الناس إقبالاً منقطع النظير ، ولكنهما مع الأسف قد جعلاهما الأكبر اتخاذ المعائم وإسبال اللحى ، وإلباس النساء الأزرق البيض بدل الملابس السود .

ثم إنهما دعوا إلى مقاطعة مدارس الحكومة قبل أن يعدوا مدارس غيرها ، وإلى ترك العلوم الطبيعية وبند الأدب والاقتصار على النحو والفقه والحديث والتفسير والتصوف ! فكان ذلك سبباً في فشل هذه الدعوة ، وكان فشلها سريعاً كما كان نجاحها سريعاً ، فكانت كأنها حريق في تل من القش .

على أن هذه الوثبة قد أبت أثراً :



أولها : أن العلماء لما رأوا هذا النجاح تبدد ما كانوا فيه من اليأس ، وعلموا أنهم يستطيعون إذا شاءوا ، اقتحام الميدان الشعبي ، وأن العاطفة الدينية لا تزال أقوى المواطنين في صدور العامة من أهل الشام .

والثاني : أن الجماعة التي كونتها هذه الوثبة ، قد اتبعت من بعد سبيل الحكمة ، وسأيرت الزمن من حيث يسير ، فاستطاعت أن تنشئ مدارس عدة ثانوية ، ودينية ، وأن يكون تلاميذها في مقدمة الناجحين في البكالوريا في كل دورة .

\*\*\*

ابثت الحال على ذلك إلى أن ألفت جمعية الشبان المسلمين ، فكان تاليفها بداية مرحلة جديدة في طريق الدعوة ، هي مرحلة العمل المنظم . ومن الوفاء للحقيقة أن أقرر أنها ولدت في دار المطبعة السلفية في شارع الاستئناف ، ولما عدت إلى مصر المرة الثانية كان رئيسها الأستاذ الكبير في جسده ورجولته وقلبه وإيمانه عبد الحميد سعيد . ( خلف في الرئاسة الأستاذ الشيخ عبد العزيز شاويش ) ، وكان أمين سرها خالي الأستاذ المحب ، ثم ألفت جمعية الهداية الإسلامية ، وكان رئيسها من يوم تأسيسها ( فيما أعلم ) الأستاذ الأكبر شيخ الأزهر اليوم وألف مثلهما في دمشق وفي بغداد ، ثم ألفت في دمشق جمعية التمدن الإسلامي ، وكان تلاميذ الأستاذ الشيخ علي الدقر ، قد ألقوا جميعه سموها ( الجمعية الغراء لتعليم أولاد الفقراء ) .

وسأصف لكم هذه المرحلة في المقالة الآتية إن شاء الله .

### الرزايا إذا تجملت تخلت

إن يكن نالك الزمان بصرف      ضرمت ناره عليك فجلت  
وأنت بعدها قوارع أخرى      خضعت أنفـس لها حين حلت  
فاخفض الجأش واصبرن رويداً      فالرزايا إذا تجملت تخلت

« محمد بن زيد العلوي »

## مِنْ مِلاحِ هَذَا الدِّينِ

### في الصلاة

يسر . . .

« عن ابن عباس أنه قال لمؤذنه في يوم مطير ، إذا قلت أشهد أن محمداً رسول الله فلا تقل حي على الصلاة ، قل صلُّوا في بيوتكم ، قال فكأن الناس استنكروا ذلك ، فقال أنعجبون من ذا فقد فعل ذا من هو خير مني ( يعني النبي صلى الله عليه وسلم ) إن الجمعة عزيمة ، وإني كرهت أن أخرجكم فتمشوا في الطين والدَّحَضُ » .

متفق عليه

\*\*\*

### نظافة ورواء . . .

« وعن أبي أيوب رضي الله عنه سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : من اغتسل يوم الجمعة ، ومسَّ من طيب إن كان عنده ، ولبس من أحسن ثيابه ثم خرج وعليه السكينة حتى يأتي المسجد فيركع إن بدا له ، ولم يؤذ أحداً ، ثم أنصت إذا خرج إمامه حتى يصلي ، كانت كفارة لما بينها وبين الجمعة الأخرى » .

رواه أحمد

\*\*\*

## نظام وتقدير . . .

«عن أبي مسعود الأنصاري قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسخ منا كبنا في الصلاة ويقول : استووا ولا تختلفوا ، فتختلف قلوبكم ، ليليني منكم أولو الأحلام والنهي ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم » .  
رواه أحمد ومسلم والنسائي وابن ماجه

\*\*\*

## روح الجماعة . . .

« وعن عمرو بن أم مكتوم قال : قلت يا رسول الله أنا ضرير شاسع الدار ولى قائد لا يلائمني فهل تجد لي رخصة أن أصلي في بيتي ، قال أسمع النداء ؟ قال نعم ، قال ما أجد لك رخصة » .  
رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه

\*\*\*

وقال صلى الله عليه وسلم : « صلاة الرجلين يؤم أحدهما صاحبه أركى عند الله من صلاة أربعة تترى . . . وصلاة أربعة أركى عند الله من صلاة ثمانية تترى . . . وصلاة ثمانية يؤمهم أحدهم أركى عند الله من صلاة مائة تترى » .  
رواه أحمد

\*\*\*

## سلامة القيادة . . .

« وعن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اجعلوا أئمتكم خياركم ، فإنهم وفدكم فيما بينكم وبين ربكم » .  
رواه الدار قطنى

# فَرْفِقِ الْقَرْضَ وَالسَّيْنَةَ

الأستاذ الدكتور محمد يوسف موسى

أستاذ الشريعة الإسلامية بكلية الحقوق بجامعة القاهرة

( ٨ )

## بعض البيوع الربوية ، بيع الوفاء

لا خلاف في حرمة البيوع الربوية على تعدد صورها وأنواعها ، والربا أمر معروف وتحريمه لا يحتاج لدليل غير ماورد في كتاب الله وسنة رسوله ، ولذلك لا نرى حاجة لترديد الكلام في هذه البيوعات .

ولكن نرى من الخير أن نذكر كلمة مفصلة عن نوع من البيوع هو في حقيقته حيلة للتعامل بالربا ، وزيد بذلك بيع العينة ، فهو إذن وسيلة إلى غرض أو عقد غير مشروع . كما نذكر كلمة أخرى عن نوع آخر من البيوع اختلف العلماء في حكمه الشرعى اختلافا كبيرا ، وهو بيع الوفاء .

### ١ - بيع العينة :

هذا البيع لا يراد منه إلا أن يكون حيلة للقرض بالربا . ومن صور هذا العقد أن يشتري إنسان شيئا بثمن مؤجل ، ثم يبيعه لصاحبه بثمن حالٍ أقل مما باعه به ، وفي نهاية الأجل في العقد الأول يدفع المشتري الأول الثمن الذي تعاقد عليه كله ، فيكون الفرق بين الثمنين فائدة أو ربا لصاحب المال والمتاع الذي بيع للمحتاج للقرض . وقد يتوسط بين صاحب المال وبين مريد الاقتراض شخص ثالث يشتري العين من المحتاج للقرض بثمن حال ، بعد أن يكون هذا قد اشتراها من مالِكها صاحب المال بثمن أكثر إلا أنه مؤجل ، ثم يبيعهها للمالك الأول ( أى صاحب المال والعين ) بالثمن الحال الأقل ، فيكون الفرق رباً له .

على أن بطلان هذا البيع ، وهو وسيلة إلى التعامل بالربا كما عرفنا ، ليس محل اتفاق من الفقهاء . فهذا الإمام الشافعي يميزه لتحقيق ركنه وهو الإيجاب والقبول ، ولا عبرة في رأيه بالنية التي لا يمكن لنا أن نتحققها يقينا . وكذلك ذهب أبو يوسف من أصحاب الإمام أبي حنيفة إلى إجازته بلا كراهة ، وأجازه صاحبه محمد بن الحسن مع الكراهة ، حتى قال فيه : « هذا البيع في قلبي كأمثال الجبال ، ذميم اخترعه أكلة الربا<sup>(١)</sup> » . وفي رأى الإمام نفسه ، أنه عقد فاسد إن لم يكن فيه ثالث قد توسط بين صاحب المال والمقترض<sup>(٢)</sup> .

أما ابن حنبل وكذلك الإمام مالك<sup>(٣)</sup> ، فيريان هذا البيع باطلا ، وأنه حقاً احتيال على شريعة الله التي جاء بها القرآن والسنة ، وهما يستدلان بهذا الحديث الذي رواه العالية بنت أيفع بن شرحبيل إذ تقول<sup>(٤)</sup> :

« دخلت أنا وأم ولد زيد بن أرقم وامراته على عائشة رضى الله عنها ، فقالت أم ولد زيد بن أرقم : إني بعت غلاما من زيد بن أرقم بثمانمائة درهم إلى المطاء ، ثم اشتريته منه بثمانمائة درهم (حالة طبعها) فقالت : بئس مائثريت وبئس ما اشتريت ! أبلنى زيد بن أرقم أنه قد أبطل جهاده مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أن يتوب » .

ونحن نرى أنه لا معنى مطلقاً لجواز مثل هذا البيع ولو اعتبرناه مكروها ، مع أنه ليس إلا حيلة للتعامل بالربا ومع ورود هذا الحديث ، لأن عائشة رضى الله عنها لا تقول مثل هذا القول الغليظ إلا عن معرفة من الرسول صلى الله عليه وسلم .

ثم ، لنا أن نضيف لهذا الحديث حديثاً آخر رواه أبو داود وغيره من أصحاب مجاميع الحديث ، وهو كما جاء ببعض الروايات عن ابن عمر رضى الله عنهما ، إذ يذكر أن النبي عليه الصلاة والسلام قال : « إذا ضنَّ الناس بالدينار والدرهم ، وتبايعوا

(١) لا ندري لم أجازوه وهو يراه كما وصف ؟ !

(٢) راجع المغنى لابن قدامة الحنبلي ، ج ٤ : ١٧٤ ؛ الدر المختار وحاشية ابن عابدين ،

ج ٤ : ٢٥٥ و ٢٩١ ؛ فتح القدير على الهداية ، ج ٥ : ٢٠٧ - ٢٠٩

(٣) راجع المغنى ، ج ٤ : ١٧٤ - ١٧٥ ؛ الشرح الكبير للدردير المالكي

مع الحاشية ، ج ٣ : ٩٩ ؛ نيل الأوطار ، ج ٥ : ٢٠٦



بالمينة ، واتبعوا أذناب البقر ، وتركوا الجهاد في سبيل الله ، أنزل الله بهم بلاء فلا يرفعه حتى يراجعوا دينهم<sup>(١)</sup> .

## ٢ - بيع الوفاء :

هذا البيع من العقود التي اشتد فيها خلاف العلماء ، وزاه فاشياً في الريف بخاصة عندنا بمصر وبغير مصر من البلاد الإسلامية . لهذا ، نرى من اللازم أن نقول فيه كلمة هنا ، ونحن بصدد بحث بعض العقود المحرمة وإن كان قد اختلف الفقهاء في صحتها أو بطلانها . وصورة هذا البيع أن يبيع الإنسان داراً أو أرضاً له ، على أن يردها عليه البائع أو يبيعها له ثانياً إذا رد له الثمن الذي أخذه منه .

وليس من السهل تكيف هذا العقد ؛ فإن له صورة البيع ، وفيه بعض أحكامه كارتفاع المشتري بالبائع والثمن ؛ كما أن فيه معنى الرهن ، بل قيل إنه رهن حقيقة مادام الشرط أن يرد المشتري ما اشتري إذا دفع له البائع بعد حين ما أخذ من الثمن ، ولكن في الرهن ليس للمرتهن ( وهو هنا المشتري ) الانتفاع بالشئ المرهون ؛ وأخيراً ، فيه شبه من الإقالة ، مادام المشتري قد قبل رد البيع عند طلب من باعه متى رد له الثمن كما قلنا .

ومن أجل هذا كله ، اختلف العلماء اختلافاً كثيراً في حكم هذا النوع من البيع كما قلنا<sup>(٢)</sup> . فهذا صاحب جامع الفصولين يذكر أن « البيع الذي تعارفه أهل زماننا وسموه بيع الوفاء هو رهن في الحقيقة ، لا يملكه ولا ينتفع ( أى المشتري ) به إلا بإذن مالكه ، وهو ضامن لما أكل من ثمره وأتلف من شجره ، ويسقط الدين بهلاكه لو يفي ولا يضمن الزيادة ، وللبائع استرداده إذا قضى دينه ، لا فرق عندنا بينه وبين الرهن في الأحكام » .

وقال صاحب الدر : وقيل إنه بيع يفيد الانتفاع به وعليه الفتوى ؛ ثم إن ذكر

(١) نيل الأوطار ، ج ٥ : ٢٠٦ ؛ القرطبي ، ج ٣ : ٣٦٠ . وقد رجح صاحب

نيل الأوطار دلالة هذا الحديث على التحريم خلافاً للبعض ، راجع ص ٢٠٧ - ٢٠٨

(٢) نكتني هنا بان عابدين إذ جمع كثيراً من النقول عن الفقهاء ، راجع حاشيته على الدر

المختار ج ٤ : ٢٥٧ - ٢٦٠

البائع والمشتري الفسخ ( أى الوفاء بالدين ورد البيع ) فى العقد أو قبله أو زعماه غير لازم ، كان بيعا فاسدا<sup>(١)</sup> ، ولو بعده على وجه الميعاد جاز ولزم الوفاء به لحاجة الناس وهو الصحيح .

وهنا ، نلاحظ أن فى مجلة الأحكام الشرعية ، المادة ١١٨ ، تكييف بيع الوفاء هذا بأنه فى حكم البيع الجائز ، وفى حكم البيع الفاسد ، وفى حكم الرهن . كما نشير إلى أنها فى المواد ٣٩٦ - ٤٠٣ أجازته وعملت على تنظيمه ليؤدى الغاية منه .

وكذلك نذكر أن المادة ٤٦٥ من القانون المدنى الجديد جعلت هذا البيع باطلا ، ولكن الذى يراجع المراحل التى سبقت هذا القرار يتبين أن مجلس النواب وافق على إجازته كما كان سابقا ، وفى مجلس الشيوخ انقسم أعضاء لجنة القانون المدنى فيما بينهم ؛ فأجازته البعض سداً للحاجة ، ومنعه آخرون رأوا عدم النص عليه اكتفاء بأحكام الرهن ، وكان من المجيزين الأستاذ الدكتور السهورى<sup>(٢)</sup> .

وربما كان لنا أن نقول بعد ذلك كله ، إن وصف البيع فى هذا العقد أظهر بكثير من وصف الرهن ، لاسيما والمرتهن لا يدفع عادة لمالك الشئ المرهون إلا نحو نصف قيمته ، على حين أنه فى بيع الوفاء يدفع المشتري ثمن المثل أو أقل قليلا ؛ كما أنه فى الرهن لا تكون هناك فكرة التملك ، على حين أنها هى الغالبة من أول الأمر فى البيع الوفاى .

نقول هذا ، على الرغم مما نقله صاحب الدر المختار عن بعض الفقهاء من الأحكام التى تجعل هذا العقد رهنا . ومن هذه الأحكام<sup>(٣)</sup> :

( أ ) لو باع البائع ما باعه بشرط الوفاء ، لآخر بيعا باتاً ، توقف هذا العقد الثانى على إجازة المشتري الأول .

( ب ) لو باع المشتري ما اشتراه بشرط الوفاء ، فللبائع الأول أو ورثته حق الاسترداد بدفع الثمن الذى كان قد أخذه .

( ١ ) لأنه حينئذ يكون بيعاً وشرطاً ، وقد نهى الرسول عن بيع وشرط .

( ٢ ) مجموعة الأعمال التحضيرية ، ج ٤ : ١٦٤ وما بعدها .

( ٣ ) ج ٤ : ٢٥٨ . وانظر ابن عابدين فى الصفة نفسها ، فيما يختص بعدم صحة استئجار الشخص ما باعه وفاء لأنه عقد رهن .

(ح) تقوم ورثة كل من البائع والمشتري في هذا العقد مقام مورثها ،  
نظراً لجانب الرهن .

هذا ، والنتيجة التي وصلنا إليها من البحث هي أننا نميل إلى اعتبار هذا العقد عقد بيع ، وأنه جائز من باب الاستحسان اعتباراً للعرف ولحاجة الناس . وفي هذا ، يذكر ابن نجيم المصري الحنفى أنهم قالوا : إن بيع الوفاء صحيح « لحاجة الناس إليه فراراً من الربا ... ومضائق على الناس أمر إلا واتسع حكمه »<sup>(١)</sup> .

وما أحرانا أن نقر هذا العرف الذي أقره جمع من أسلافنا الفقهاء ، توسعة على الناس ، وإبعاداً لهم عن الاقتراض بالربا . وبخاصة ، وليس في هذا إلا الوعد من المشتري برد ما اشتراه إلى مالكه حين يدفع إليه الثمن الذي كان قد أخذه منه . وقد يكون من الخير اشتراط مدة يباح فيها للبائع استرداد ما باعه على هذا النحو ، وإلا كان البيع باتاً نهائياً ضماناً لاستقرار المعاملات .

إننا نرى أن منع هذا البيع ، أو نص القانون المدني الجديد على عدم جوازه ، قد يضر بكثير من صغار الملاك الذين يكونون في حاجة شديدة لمبلغ من المال لا يستطيعون الحصول عليه إلا بمثل هذا التصرف الذي يرجون منه دفع الحاجة ثم استرداد ما باع بيعاً وفائياً ، فإذا منعهنا بحكم القانون من هذا التصرف مع إلحاح الحاجة عليه اضطر إلى بيع ملكه بيعاً نهائياً ، وما أعظم الضرر عليه حينذاك .

من الخير إذن ، مراجعة الأمر ، وإباحة هذا الضرب من البيع ، على أن يشترط القانون في رعاية حق البائع والمشتري ، وبخاصة البائع ، لأنه المحتاج ، ولنا في آراء الفقهاء — كما عرفنا — في هذه الناحية دليل ومستند يسهل الاستناد إليه في تجويز هذا البيع للحاجة إليه ، والله ولي التوفيق والسداد .

# الطريق إلى مكة

للأستاذ محمد أسد

ترجمة السيد سالم على سالم

« ذكرنا في العدد الماضي أن الأستاذ محمد أسد يكف على إعداد كتاب جديد عنوانه « الطريق إلى مكة » ، وقد بعث إلينا - مشكوراً - بفصول منه ، نفكر اليوم ترجمة فصل منها كتبه عن فترة من حياته قضاها في المدينة المنورة سنة ١٩٣٢ ... »  
« التحرير »

أمضيت عصر اليوم في المدينة إلى جانب الشيخ عبد الله بن بليهد في ساحة الحرم السماوية الواسعة ، والساحة محاطة بالأروقة الرحبة من ثلاثة جوانب ، وفي الرابع الجنوبي تنفسح الساحة إلى قاعة عظيمة ذات عمد .

صفوف طويلة من السجاد ممتدة على أرض الساحة ، و صفوف من الرجال عليها رابضون ، يعكفون على تلاوة القرآن ، أو يتجادثون ، أو يتأملون ، أو يقطعون الوقت في انتظار صلاة المغرب ، أما « ابن بليهد » فقد بدا كأنما غاب في دعاء صامت ...  
ذاك صوت « حسن » القاريء يُسمع من بعيد يتلو كعادته قبل صلاة المغرب حزباً من القرآن . إنه اليوم يتلو السورة السادسة والتسمين - الأولى مما نزل على محمد صلى الله عليه وسلم - وهي تبدأ بالكلمات : « اقرأ باسم ربك ... » لقد تنزل الوحي من عند الله بهذه الكلمات على محمد لأول مرة وهو في غار حراء بجوار مكة .

لقد كان ( صلى الله عليه وسلم ) يصلي وحيداً ، كما كان يفعل غالباً من قبل ، يصلي للنور والحق ، و فجأة ظهر له ملاك يناديه : « اقرأ ! » ، ومحمد ، كمظم أهل بيته ، لم يتعلم القراءة قط ، فضلاً عن أنه لم يعرف حينئذ ما الذي كان يطلب منه أن يقرأه ، فأجاب : « ما أنا بقارئ » فأخذه الملاك وضمه إليه حتى بلغ منه الجهد ، ثم أرسله وأعاد عليه قوله « اقرأ » وأجاب محمد ثانية « ما أنا بقارئ » فضمه الملاك ضمة أخرى حتى تخاذلت قواه وظن أنه الموت ، ومرة أخرى عاد الصوت القوي ينادي

«اقرأ» ولما همس محمد للمرة الثالثة في آلامه الشديدة «ما أنا بقارئ...» ، أرسله الملاك وتكلم :

«اقرأ باسم ربك الذي خلق . خلق الإنسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . الذي علم بالقلم . علم الإنسان ما لم يعلم...» .

وهكذا ، مع الإلماع إلى الضمير والإدراك والعلم الإنساني ، بدأ تنزيل القرآن الذي استمر ثلاثة وعشرين عاماً — حتى وفاة النبي في المدينة في سن الثالثة والستين . قصة بدء الوحي الإلهي هذه تذكر المرء في بعض نواحيها بمصارعة يعقوب للملاك كما يذكر سفر التكوين في التوراة ؛ إلا أنه بينما نجد أن يعقوباً قاوم ، نرى محمداً قد أسلم نفسه لضممة الملاك في رهبة حتى تخلت عنه كل قواه المادية ، ولم يبق فيه سوى قابلية الإصغاء إلى الصوت الذي لم يعد يمكن تمييزه أنابع هو من أعماقه أم منكسب فيه من خارج ؟ ! إنه لم يعلم بعد أنه منذ الساعة سيكون ممتلئاً وخالياً في آن واحد : خلق إنسانى ممتلىء بالدوافع والرغائب ، وفي الوقت نفسه أداة معدة لتلقى رسالة . إن كتاب الحق الأزلى الذي لا يُرى : الحق الذي يعطى وحده لكل الأشياء الحسية والأحداث معناها — كان مفتوحاً سافراً أمام قلبه ليعيه ، وقد قيل له اقرأه على الدنيا حتى يعلمه الذين لا يعلمونه ، وما كان لهم بغير الوحي أن يعلموه !

إن تشابك هذا المنظر الهائل بهر محمداً ، لقد ظن — كما كان موسى حيال قبس النار — أنه غير جدير بمنزلة النبوة السامية ، وارتجف عندما خطر له احتمال اختيار الله له . وتذكر السيرة أنه عاد إلى بيته في مكة ونادى زوجته خديجة «زملوني ، زملوني !» فقد كان يرتجف كمنصن في مهب الريح ؛ فلففته بدثار حتى سكن ارتجافه تدريجياً . ثم أخبرها بما حدث له وقال : «لقد خشيت على نفسي» لكن خديجة بالبصيرة الثابتة التي لا يهيتها إلا الحب ، عرفت من توها أنه كان مشفقاً من ثقل البء أمامه فأجابت : «كلا ، فوالله لن يحملك الله ما لا تطيق ، ولن يخزيك الله أبداً ، إنك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق» . وحتى تروّج عنه أخذه إلى ورقة ابن عمها ، وكان متعلماً قد تنصر منذ سنوات عدة ، وكما ورد في السيرة كان يقرأ الإنجيل بالعبرية ، وكان حينئذ



شيخاً كبيراً قد عمى . قالت له خديجة : « يا عم اسمع من ابن أخيك » ولما أخبره محمد بما رأى رفع ورقة يديه في رهبة وقال : « ذلك ملاك الوحي الذي أنزله الله على الأنبياء من قبل . ليتنى فيها جذعاً ، ليتنى أكون حياً فأنصرك حين يخرجك قومك » وبدهشة سأله محمد . « أو مخرجى هم ؟ ! » فأجاب ورقة الحكيم : « نعم ، لم يأت أحد بمثل ما أتيت به إلا عودى » .

وقد عودى فعلاً ثلاث عشرة سنة حتى هجر مكة إلى المدينة لأن أهل مكة كانوا طوال هذه الفترة قساة القلوب . . .

\*\*\*

ليس من الصعب أن يُعرف سبب تلك الصلابة التي ظهرت في قلوب أهل مكة أول ما صدع محمد بدعوته . فلخلوهم من كل حافز روحي لم يكونوا ليفقهوا سوى الأمور المادية ، لأنهم كانوا يعتقدون أن سمة الحياة يمكن أن تمد بالتوسع في الوسائل التي تزيد في الراحة الظاهرية . ولمثل هؤلاء القوم قد تبدو فكرة خضوع النفس بالكلية إلى معنى من معاني القيم أمراً لا يمكن احتمالها — لأن الإسلام معناه « إسلام المرء نفسه إلى الله » — ثم إن تعاليم محمد قد هددت النظام المقرر للأمور ، والتقاليد القبلية الأثيرة لدى أهل مكة . إنه لما شرع في الدعوة إلى توحيد الله وتسفيه عبادة الأصنام كذب هو أكبر الذنوب ، لم يروا في ذلك مهاجمة لمعتقداتهم التقليدية وحسب ، بل محاولة لهدم نظام حياتهم الاجتماعية أيضاً . إنهم لم يستسيفوا على الخصوص تدخل الإسلام فيما اعتبروه دنيوياً محضاً متصلاً بالحياة العملية خارج نطاق الدين كالاقتصاديات ومسألة العدالة الاجتماعية وسلوك الناس بوجه عام ؛ لأن هذا التدخل لم يكن ليتناسب مع تقاليدهم وفجورهم ونظراتهم إلى صالح القبيلة . لقد كانت الديانة عندهم مسألة شخصية : مسألة ميل شخصي أكثر منها مسألة سلوك .

هذه هي العقبة الحقيقية التي كان يواجهها النبي العربي عندما كان يتحدث عن الدين . فإن الحياة العملية والنظم الاجتماعية عنده داخلية كلياً في صميم دائرة الدين ؛ ولا بد أنه كان يعجب إن ذكر له أحد أن الدين مسألة شعور شخصي فقط ولا دخل له بالسلوك الاجتماعي !! وهذه الظاهرة في رسالته دون سائر مظاهرها جعلتها غير

مستساعة إلى حد بعيد لدى أهل مكة الوثنيين . ولو لم يكن نفورهم بسبب تدخله في مشكلات المجتمع لكان مدى سخطهم على رسول الله أقل من ذلك ، وقد كان يُحتمل من غير شك أن يتبرموا في حدود مخالفة معتقداته لنظرتهم الدينية ، وكان أقرب الاحتمالات حينئذ أن يستكينوا لها بعد تبرم مبدئي — كما استكانوا للدعوات المتفرقة إلى المسيحية قبل قليل — وذلك فقط فيما لو حذا رسول الله حذو الكهان المسيحيين ، واقتصر على حض الناس على الإيمان بالله والصلاة له التماساً للنجاة والفقران، والسلوك مسلك التقوى في المصالح الشخصية . لكنه لم يتبع المثال المسيحي ، فلم يقتصر على مسألة العقيدة والطقوس والآداب الشخصية . وأنى له ذلك ؟ ألم يأمره ربه بالدعاء « ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة » ؟

في تركيب هذا التعبير من الآية القرآنية نرى أن الحسنة المرجوة في الدنيا سابقة على حسنة الآخرة ، أولاً : لأن الحاضر يسبق المستقبل ، وثانياً : لأن الإنسان مكون بحيث لا بد له من إشباع حاجاته الطبيعية الدنيوية قبل أن يكون قادراً على الإصغاء لنداء الروح والتماس الحسنة للآخرة .

إن الإسلام لم يفرض أن رسالته الروحانية شيء منفصل عن الحياة الطبيعية أو مخالف لها . إنه يبدأ بالإقرار بالحقيقة التي لا مفر منها وهي أن الإنسان مخلوق بشري له حاجاته البشرية ، وأنه لا بد من أن يعيش في جماعة حتى يستطيع استيفاء حاجاته الطبيعية ومطالبه الروحية . وبالاختصار فإن كلا منهما يعتمد على الآخر . وهكذا فإن استمرار التسامى عندى وعندك في الناحية الروحية ( وهي الأساس الأول في كل ديانة ) تعتمد على تعاون وتشجيع وحماية الناس من حولنا ، وهم بالطبع يتوقعون ذلك أيضاً من ناحيتنا ، وهذا هو السبب الذي يجعل الدين الإسلامي لا يمكن فصله عن الاقتصاد والسياسة .

إن الصورة الواحدة التي يظهرها الإسلام لوظيفة المجتمع الصحيحة هي تكوين العلاقات الإنسانية العملية بحيث يجد كل فرد في حياته أقل ما يمكن من العقبات ، وأكبر قدر ممكن من الحوافز في تكوين شخصيته ، وهذه هي الصورة التي جلاها النبي العربي أمام البشرية منذ بدء بعثته . إنه لم يقتصر على تكوين المستوى الأخلاقي

في الأفراد ، إذ كان عليه أن يهدف إلى ترجمة ذلك المستوى إلى نظام اجتماعي مستقر يوفر لكل عضو في المجتمع أعلى ما يمكن من المستوى الطبيعي والمادى ؛ وبذلك تتاح الفرصة العظمى للنمو الروحي .

لقد طفق يقول للناس إن العمل من العقيدة ، لأن الله يعنى بأعمال الإنسان كما يعنى بمعتقداته ، وعلى الخصوص تلك الأعمال التي تتعدى شخص الإنسان إلى غيره من الناس . لقد نادى بكل ما آتاه الله من قوة في التعبير مندداً بطغيان الأقوياء على المستضعفين ، وأعلن على الملأ ما لم يُسمع من قبل من تساوى الرجل والمرأة أمام الله ، وأن جميع التكاليف والجزاءات الدينية بالنسبة لكل منهما سواء . ومما أفرز حتى النصفين من أهل مكة من الوثنيين ، القول بأن المرأة إنسان ولها حقوقها الخاصة لذلك ، وليس فقط لقرباتها للرجل كأم أو أخت أو زوجة أو ابنة ؛ وأنها لذلك جديرة بتملك الممتلكات والقيام بنفسها على مصالحها الخاصة ، وأن تكون لها الكلمة الأخيرة في الزواج ! لقد حرم جميع ألعاب اليسر وأصناف الخمر ، لأنهما كما يقول القرآن الكريم : « فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما » وفوق كل ما تقدم ، فإنه قاوم ما جرى عليه العرف من استغلال الإنسان لأخيه الإنسان ، فنزع الربح من الديون الربوية مهما كان سعر الفائدة ، وقاوم الامتيازات والاحتكارات الشخصية ، والمغامرة بحاجات الناس الضرورية — وهو ما ندعوه اليوم بالمضاربة — ومنع الحكم بالخطأ أو الصواب من وجهة النظر المتأثرة بعاطفة الجماعة القبلية — وهي في التعبير الحديث : القومية — بل لقد استبعد كل ولاء للشعور القبلي والاعتبارات العشائرية لأن من أصوله أن العاطفة الوحيدة التي يمكن قبولها شرعاً كأساس لعاطفة الودّ نحو الجماعة ليس اتفاق انتساب المرء إلى أصلها المشترك ، ولكنه مدى قبوله الوجداني الحر للنظرة العامة إلى الحياة والقياس العام للقيم العليا .

ونتيجة لذلك أصر على تعديل شامل تقريباً لجميع الأوضاع الاجتماعية التي كانت تعتبر حتى ذلك الحين لا تقبل التبديل وهكذا ، كما يقال اليوم : « أدخل الدين في السياسة » وقد كانت حقاً بدعة ثورية في ذلك الزمان .

لقد كان يرى حكام مكة الوثنيون - كما هو حال أكثر الناس دائماً - أن الأوضاع الاجتماعية واتجاه الفكر والعادات السائدة التي نشأوا فيها هي خير ما يمكن تصوره ؛ ولذلك كان طبيعياً تبرمهم من محاولة رسول الله لإدخال الدين في السياسة - أى جعل تقوى الله نقطة الابتداء في التغير الاجتماعي - واعتبروها خروجاً على قواعد الأخلاق العامة ومثاراً للفتنة ومخالفة لآداب اللياقة . ولما أصبح واضحاً أن رسول الله عرف كيف يوجه الناس إلى العمل ولم يكن مجرد رجل خيالي ، لجأ حماة النظام القائم إلى المقاومة الوحشية في اضطهاده هو وأتباعه .

لا بد لكل نبي أن يتلى بتحدى النظام القائم في زمانه بطريقة ما . وقد اضطهد جميع الأنبياء تقريباً واستهزئ بهم في زمانهم ومن بنى قومهم ، ولكن العجب في أن خاتم الأنبياء محمداً ( صلى الله عليه وسلم ) يستهزأ به في الغرب حتى يومنا هذا ؟ !

\*\*\*

عند الفراغ من صلاة المغرب أصبح الشيخ مركزاً لدائرة من المستمعين المتلهفين من البدو النجديين ومن الحضر ، الراغبين في اكتساب الحكمة من علمه . أما الشيخ نفسه فهو دائماً مشوق لسماع كل ما يستطيع أن يدلي به الناس من أخبار تجاربهم وأسفارهم في البلاد النائية . والأسفار البعيدة ليست أمراً شاذاً بين النجديين فهم يدعون أنفسهم أهل الشداد ( أحلاس الجبال ) وحلس الجبل لكثير منهم في الحقيقة آلف له من فراشه في البيت . وقد كان من هؤلاء ذلك البدوي الشاب من « حرب » الذي أخذ يسرد للشيخ ما حصل له في رحلته الأخيرة إلى العراق حيث رأى لأول مرة الإفرنج - أى الأوروبيين - ( الذين يدينون بهذه التسمية إلى الفرنجة الذين احتكوا بالعرب أثناء الحروب الصليبية ) ثم قال الشاب البدوي : « أخبرني أيها الشيخ : لم يلبس الإفرنج دائماً قبعات تظل عيونهم ؟ كيف يتسنى لهم أن يروا السماء ؟ »

فأجابه الشيخ وفي عينيه لمحة إلى :

« إن ذلك هو ما لا يريدون أن يروه ، ربما يخشون أن يذكرهم بالله مرأى السماء ، وهم لا يريدون أن يذكروا الله سائر أيامهم . . . »

ونضحكنا جميعاً ، غير أن البدوي الشاب كان تواقاً للمعرفة في استطلاعاه فأضاف « فلم إذن يكرمهم الله ويمدهم بالثروة التي يمنعهما عن المؤمنين ؟ » .

فأجاب الشيخ « آه . إن ذلك أمر بسيط يا بني ، إنهم يعبدون الذهب ، فإلّهم لذلك في جيوبهم ، . . . ولكن صديق هذا - ووضع راحته على ركبتي - يعرف عن الإفرنج أكثر مما أعرف لأنه قادم من بينهم ، فقد هداه الله سبحانه وتعالى من الظلمات إلى نور الإسلام » .

وسأل البدوي الشاب في حماس « أ كذلك هو يا أخي ؟ أحق أنك نفسك كنت إفرنجياً ؟ » ولما أومأت بالإيجاب همس « الحمد لله ، الحمد لله الذي يهدي من يشاء . قل لي يا أخي لم يغفل الإفرنج عن الله إلى هذا الحد ؟ »

قلت : « تلك قصة طويلة ، ولا يمكن إيضاحها في كلمات قليلة ، وكل ما أستطيع أن أقوله الآن هو أن دنيا الإفرنج قد أصبحت دنيا ( الدجال ) : ألم تسمع من قبل بما أخبر به نبينا الكريم من أن أكثر الناس في الأزمنة المتأخرة سيتبعون ( الدجال ) يحسبون أنه هو الله ؟ »

ولما رأيت في عينيه سؤالاً بادياً ولحيت استحساناً من الشيخ بن بليهد ، رويت نبوءة الرسول صلى الله عليه وسلم عن ظهور الأعور ( الدجال ) الذي تكون إحدى عينيه عمياء ، إلا أنه مزود بقوى هائلة يمنحه الله إياها ، فيسمع بأذنيه ما يقال في أقصى زوايا الأرض ، ويرى بعينه الوحيدة ما يحدث في الأبعاد التي لا تحد ، ويطير حول الأرض في أيام ، ويُظهر كنوز الذهب والفضة فجأة من باطن الأرض ، وينزل المطر وينمي النبات بأمره ، ويستطيع أن يقتل ويميد القتل إلى الحياة ؛ حتى يوقن كل من ضعف إيمانه بأنه هو الله نفسه ويخرون في عبادته ساجدين . أما المؤمنون الصادقون فيعلمون أنما هو فتنة لاختبار إيمان الناس إذ يرون مكتوباً بين عينيه بحروف من نار « ك ف ر » . . .

وبينما كان صديقي البدوي يصني إلى وعيناه مفتوحتان على اتساعهما وهو يقول : « أعوذ بالله » ، التفت إلى ابن بليهد أقول : « أليس هذا الحديث أيها الشيخ وصفاً ينطبق على الحضارة الآلية المصرية ؟ إنها عوراء لا ترى بنير عين واحدة ، أي أنها



ترى جانباً واحداً من الحياة وحسب - التقدم المادى - ولا تفقه جانبها الروحى .  
فبفضل عجائبها الميكانيكية يستطيع الإنسان أن يرى ويسمع أبعد بكثير من  
قدرته الطبيعية ، ويقطع مسافات شاسعة بسرعة لا تدرك . إن تقدم هذه الحضارة  
العلمى يسقط من السماء المطر وينبت الزرع ويخرج كنوزاً لم يكن يُظن وجودها  
فى باطن الأرض . وحروب هذه الحضارة وأهوالها العلمية تستأصل الحياة ، وطبها  
وعقاقيرها تسترجع الحياة لمن بدا كأنما قضى عليه بالموت . هذا التقدم المادى  
للحضارة أصبح من القوة والخداع والدجل بحيث يخيل لضعاف الإيمان أنها فى حد  
ذاتها إله ، ولكن أولئك الذين يستقيمون على أمر خالقهم ويدكرونه دائماً يتضح  
لهم بجلاء أن عبادة ( الدجال ) معناها الكفر بالله . . .

وهتف ابن بليهد وهو يضرب بكفه على ركبتي : « أنت محق يا محمد ، أنت محق !  
إنه لم يسبق لى تأمل خبر ( الدجال ) على ضوء ما ذكرت ، إنك على حق ، فإن  
كثيراً وكثيراً من الناس بدلاً من اليقين بأن هذا التقدم والرقى فى العلوم من نعم  
الله عليهم أخذوا يظنون أن هذه العلوم فى حد ذاتها غاية من حقه أن تُعبد . »  
وساد صمت طويل ، ثم تكلم الشيخ ثانية ليسأل : « هل كان هذا الإلهام هو  
ما هداك إلى اعتناق الإسلام يا بنى ؟ »

قلت : « لا بد أنه كان كذلك إلى حد ، وعلى أى حال ، فإنه لم يكن سوى  
الخطوة الأخيرة » .

وعاد الشيخ يسأل : « الخطوة الأخيرة ؟ . . . نعم : لقد أخبرتنى مرة بقصة  
مسيرك إلى الإسلام - ولكن هلاً أخبرتنى كيف ومتى بالتحديد كان أول  
ما ارتسم الإسلام أمامك هدفاً ترومه ؟ »

- « متى ؟ . . . دعنى أفكر . . . إننى أظن أن ذلك كان فى يوم من أيام الشتاء  
فى أفغانستان عند ما سقطت إحدى نعال حصانى فالتمت حداداً فى قرية بعيدة عن  
الطريق ، وهناك قال لى رجل :

« ولكنك مسلم غير أنك لاتدرى ذلك من نفسك . . . »

« لقد كان ذلك قبل ثمانية أشهر من اعتناق الإسلام . . . وكنت حينئذ  
فى طريقى إلى كابل . . . »

# إمام ...

## للأستاذ السيد عمر بهاء الدين الأميري

[ يعرف قراء العربية خماسيات « عمر » ، وتذكر أسرة « المسلمون » ما نشرناه مما ظفروا به في زحمة مشاغله الكثيرة ... ولكن هذه المشاغل أتاح له أخيراً أن يخلو إلى شعره ونفسه ، لجمع الجليل القديم من شعره ، وزاده جديداً مليئاً من نفسه . ولسنا نشك في أن هذه الخلوة التي أتت له بعد رحلة مجهدة في الكون والأحداث ، وفي عمر لا يزال نضراً زكياً ... قد ساقته إلى الأدب هدية من لون فريد : فيه طرافة وسمو نفس ، وتحليق في آفاق رحبة تتردد بينها روح عمر !

وهذه القطعة التي نشرها اليوم ، هي طليعة مما خص به عمر أسرة « المسلمون » من ديوانه : « رجال .. وأشباه » ونحن إذ نشكره لما خصنا به ، نرقب في لهفة طبع ما أعده من دواوين ... ]  
« التحرير »

\*\*\*

سمعت عنه كثيراً ... ورأيت له ... في مرايا قلوب محبيه ... صوراً لامعة رائعة .  
فتراءى لعقلي ... عملاق هدى ... ورأي ... وحكمة  
وتخيلته أمام عيني ... عملاقاً في جسمه أيضاً ... جباراً في قسامته وسماته  
وأما محبوه ... فقد حاولوا تصويره لي ... كأنه ملك كريم :

أَنْتَ لَوْ أَبْصَرْتَ ، فِي غَوْرِ هَمٍّ ، بِسَمْتِهِ  
أَوْ لَسْتَ عَقَلَهُ وَهُوَ يُهْدِي حِكْمَتَهُ  
أَوْ سَمِعْتَ جَرَسَهُ وَهُوَ يَدْعُو دَعْوَتَهُ  
أَوْ رَأَيْتَ خِلْسَةً فِي صَلَاةٍ وَقَفْتَهُ

مُشْفِقًا مُسْتَبْشِرًا لَمْ يُقَالِبْ عِزَّتَهُ  
 أَوْ تَأَمَّلَتْ ، عَلَى أَهْلِ خَطْبٍ ، عَطْفَتَهُ  
 مِنْ كَرِيمٍ عَاثِرٍ جَدَّ يَمْخُو عِزَّتَهُ  
 وَمُصَابٍ بِأَذَى رَاحَ يَأْسُو كُرْبَتَهُ  
 لَمْ شِفَتْ رُوحَهُ صَاغَ مِنْهَا رَحْمَتَهُ  
 ثُمَّ لَوْ شِئْتَ ، إِذَا جَدَّ جِدُّ ، عِزْمَتَهُ  
 وَإِذَا الدَّاعِيَ دَعَا لَجَهَادٍ ، هِمَّتَهُ  
 وَعَلَى الْبَاغِي عَلَى أَيْ حَقٍّ ، غَضَبَتَهُ  
 قُلْتَ هَذَا قَسُورٌ هَاجَ يُزْجِي ضَرْبَتَهُ  
 وَهُوَ فِي الْوَاقِعِ شَهْمٌ نَارٌ يَحْمِي أُمَّتَهُ  
 صِيحَّةُ الْأَجْدَادِ فِي الْأَصْفَادِ حَاكَتْ صَيَحَّتَهُ  
 وَأَنْبَنُ الْمَجْدِ فِي الْأَصْفَادِ أَوْزَى ثَوْرَتَهُ  
 إِنَّهُ صُورَةُ شُعْبَتِي هَبَّ عَدُوٌّ يَفْذُرُ وَثْبَتَهُ  
 إِنَّهُ جَيْلٌ مِنَ الْإِسْلَامِ يَبْنِي نَهْضَتَهُ  
 أَنْتَ لَوْ أَبْصَرْتَهُ لَمَدَرْتَ قُدْرَتَهُ  
 بَشَرٌ مِنْ مَلَكٍ قَدْ تَلَقَّى فِطْرَتَهُ

\*\*\*

سَعَيْتُ إِلَيْهِ . . . أَطْوَى الْبَحَارِ وَالْقَفَارِ . . . مَشُوقًا إِلَى تَعْرِفِ حَقِيقَتِهِ .

وَلَمَّا رَأَيْتَهُ بَيْنَ صَحْبِهِ . . . أَوَّلَ مَا رَأَيْتُهُ . . . مَا ظَنَنْتُ أَنَّهُ هُوَ !

ثُمَّ قَدَّمْتُ إِلَيْهِ ، فَتَلَقَانِي فِي بَشَاشَةٍ . . . لَا تَكْلَفُ فِيهَا .

وَرَحَّبَ بِي . . . مُنْسَاقًا مَعَ فِطْرَةِ رَحْبَةٍ .

\*\*\*

لم أجد له في مشاهدتي . . . صورته في نُخيلتي  
 كان أقرب إلى القصر . . . منه إلى الطول  
 وأدنى إلى الوداعة . . . منه إلى الحبروت  
 في صراحته إباء . . . وفي جرأته إغضاء  
 لا يكاد يطلع الناظر إليه . . . من الحزم الذي سمعه عنه ،  
 إلا تقطية بين الحاجبين . . . تصغر منها عين . . . وتكبر عين . . .  
 كلما تحدث في أمر هام .  
 وهو بَمَد ذلك . . . تتلقاه الشهادة الأولى . . . في مستوى الرجل العادي  
 هنداماً وقسمات . . . ومظاهر حياة .

\*\*\*

زُرته في بيته . . . فوجدته راهداً بسيطاً .  
 وآكلته في مائدته . . . فوجدته فقيراً كريماً .  
 وصحبته في أسفار . . . فلم أر أكثر منه أنساً وإيناساً . . . في مواطن الراحة  
 ولا أكثر منه فناءً في العمل . . . وقت العمل .  
 ولزمت حياته أياماً . . . فوجدتها دأباً مستمراً . . . وجهداً مرهقاً ؛  
 كلما اشتدت عليه . . . زادت بشاشة روحه .  
 فبدأ أشدّ انهماكاً في السعى . . . وأكثر إيماناً في التسليم . . . وأقوى تألقاً بالاستبشار .

\*\*\*

ما رأيته مرة . . . إلا زدت إكباراً له . . . وتعلقاً به . . .  
 وإشفاقاً عليه . . . وأملأ فيه . . .  
 بيد أنني . . . كلما توثقت صلتنا ،  
 تبدّى لِنفسي . . . على غير ما صورته لي محبوبه :  
 لقد خالوه . . . أشبه باللائكة ؛  
 وأما أنا . . . فقد وجدته إنساناً . . . بكل ما في الإنسان . . . من معاني  
 الخلافة في الأرض .  
 إنه إمام . . . ملء الأرواح . . . والبصائر .

# مَعَالِمُ رُئِيسِيَّةٍ فِي سِيَّاسَةِ اِقْتِصَادِيَّةِ اِسْلَامِيَّةٍ

لِمُوَاجَهَةِ الْمَشْكَلَاتِ اِلِقْتِصَادِيَّةِ الْحَاضِرَةِ

لِلدَّكْتُورِ زَكِيِّ مُحَمَّدٍ شَبَّانَهٗ (١)

مُدَرِّسُ اِلِقْتِصَادِ الزَّرَاعِيِّ بِجَامِعَةِ اِلِسْكَنْدَرِيَّةِ

## تَمْهِيدٌ

تَهْدَفُ السِّيَاسَةُ اِلِقْتِصَادِيَّةُ اِلَى تَدْبِيرِ وَتَنْظِيمِ مَوَارِدِ الثَّرْوَةِ اِلِنْسَانِيَّةِ وَطَبِيعِيَّةِ غَيْرِ الْكَافِيَةِ فِي اَيِّ مَجْتَمَعٍ اِنْسَانِيٍّ لِفَرْضِ اِشْبَاعِ الرِّغْبَاتِ اِلِنْسَانِيَّةِ بِالسَّلْعِ وَالْخِدْمَاتِ اِلِقْتِصَادِيَّةِ الْمُخْتَلِفَةِ عَنْ طَرِيقِ هَيْمَنَةِ الْهَيْئَةِ الْحَاكِمَةِ بِتَشْرِيعِهَا وَتَقْنِينِهَا ؛ وَيَهْدَفُ عِلْمُ اِلِقْتِصَادِ التَّطْبِيقِ فِي صُورِهِ الْمُخْتَلِفَةِ زُرَاعِيًّا أَوْ صِنَاعِيًّا أَوْ تِجَارِيًّا اِلَى دِرَاسَةِ الْمَوَارِدِ اِلِنْسَانِيَّةِ وَطَبِيعِيَّةِ وَرَبْطُهَا بِيَعْمَضِهَا فِي صُورِ اسْتِثَارِيَّةٍ مُخْتَلِفَةٍ لِاِشْبَاعِ رَغْبَاتِ هَذَا الْمَجْتَمَعِ فِي شَكْلِ سِيَاسَاتٍ اِقْتِصَادِيَّةٍ مُتَنَوِّعَةٍ .

وَلَقَدْ وَضَعَ اِلِسْلَامٌ نِظَامًا اِقْتِصَادِيًّا خَاصًا فِي عَصْرِ تَارِيخِيٍّ خَاصٍ ، وَمِيزَةُ هَذَا النِّظَامِ اَنَّهُ يَحْمِلُ بَيْنَ طَيَّابَتِهِ مَرُونَةً كَافِيَةً تَجْعَلُهُ يَصْلُحُ لِلتَّطْبِيقِ كَنْظَامٍ اَمْثَلِ لِبُنْيَانِ اِقْتِصَادِيٍّ سَلِيمٍ مُتَكَامِلٍ مُتَكَافِلٍ ، وَهُوَ فِي الْحَقِيقَةِ لَمْ يَضَعْ غَيْرَ خُطُوطٍ رُئِيسِيَّةٍ وَمُبَادِيٍّ مُجْمَلَةٍ وَنَظَرِيَّاتٍ عَامَةٍ ، وَتَرَكَ مَهْمَةَ التَّطْبِيقِ وَالتَّفْصِيلِ اِلَى الْعُلَمَاءِ فِي اَيِّ عَصَرٍ .

فَالِإِسْلَامُ لَمْ يَرَسِّمْ طَرَائِقَ اِلِإِنْتِاجِ أَوْ وَسَائِلَهُ أَوْ صُورَ حَرَكَتِهِ أَوْ تَوْزِيْعِهِ ، وَلَمْ يَضَعْ لِلْاِسْتِهْلَاكِ قَوَاعِدَهُ وَلَا مَقْنَنَاتِهِ ، وَلَمْ يَفْصَلْ طَرِيقَ التَّبَادُلِ وَلَا وَسَائِلَ التَّمْوِيلِ وَلَا غَيْرَ ذَلِكَ مِنْ نَوَاحِي النِّشَاطِ اِلِقْتِصَادِيٍّ الْمَعْقَدِ ، بَلْ تَرَكَ التَّنْظِيمَ وَالتَّدْبِيرَ وَرَسْمَ الطَّرِيقِ وَوَضَعَ الْأَسَالِيبَ وَالْوَسَائِلَ اِلِإِنْتِاجِيَّةِ وَالْاِسْتِهْلَاكِيَّةِ وَالتَّسْوِيفِيَّةِ وَالتَّمْوِيلِيَّةِ تَتَطَوَّرُ بِتَطَوُّرِ الزَّمَنِ وَفَقَا لِمُتَعَدِّدَاتِ التَّطَوُّرِ اِلِنْسَانِيٍّ مَعَ تَقَدُّمِ الْمَدِينَةِ وَالْحَضَارَةِ وَالثَّقَافَةِ . وَلَقَدْ بَذَلَ بَعْضُ فَقْهَاءِ الْمُسْلِمِينَ السَّابِقِينَ — رَضِيَ اِللهُ عَنْهُمْ — جُهْدًا مُشْكُورًا فِي النِّوَاحِي اِلِقْتِصَادِيَّةِ الْمُخْتَلِفَةِ ، بَلْ وَفَى التَّطْبِيقِ وَالتَّفْرِيعَ وَالتَّفْصِيلَ ؛ وَلَكِنْ وَقَفَ

(١) دَكْتُورَاهُ فِي اِلِقْتِصَادِ الزَّرَاعِيِّ مِنْ جَامِعَةِ وِيسْكُونْسِن ، وَمَاجِسْتِيرُ فِي الْعُلُومِ مِنْ جَامِعَةِ وِيسْكُونْسِن ، وَبِكَلُورِيُوسِ فِي الْعُلُومِ الزَّرَاعِيَّةِ مِنْ جَامِعَةِ الْقَاهِرَةِ .



هذا المجهود الجبار منذ سبعمائة عام ، ولم تتحرك الجهود العلمية في الاقتصاد الإسلامي من كمونها إلا في القرن العشرين حيث ظهر جمال الدين الأفغانى وتلته نهضة الإخوان المسلمين في سنة ١٩٢٧ ، ولكن لا يزال البعث في هذا الميدان وئيداً في وقت تتصارع فيه قوى العالم بأجمعها صراعاً اقتصادياً ، فكل معسكر من المعسكرات يقدم للعالم مذهبه الاقتصادي معلناً عنه بكافة الأساليب والطرق الحديثة للإعلان . فهذه الاشتراكية بفروعها المختلفة ، وهذه الرأسمالية الديمقراطية ، كل يقدم إلى العالم كل يوم وسائله وأساليبه ونظرياته ومبادئه ؛ ولكن الميدان لا يزال قفراً من علماء الاقتصاد الإسلامي ، فلم يدل عالم درس الاقتصاد الإسلامي دراسة علمية صحيحة بدلوه ، اللهم إلا بعض مقالات في الصحف وكتيبات ظهرت أخيراً مما لا يمكن أن تتقدم به في هذا الصراع العالمى العنيف ، فهم يريدون حقائق وإحصائيات وبحوثاً ودراسات مؤسسة على أحدث طرق البحث العلمى لتظهر للناس النظريات الاقتصادية الإسلامية وتطبق هذه النظريات في صور سياسات اقتصادية كاملة تحمل بين طياتها تكافلاً وتكاملاً تامين للمبادئ الاقتصادية والنفسية والاجتماعية والسياسية والقانونية . والدراسات الاقتصادية الإسلامية القديمة رغم قدمها فإنها تستحق التقدير وتستحق الدراسة من الاقتصاديين ، بل لا أكون مبالغاً إذا قلت إنها يمكن أن تكون لبنة يبنى عليها نظام اقتصادى متكامل ، يحقق الرفاهية والهناء الاجتماعى والاقتصادى الذى يبحث عنه الاقتصاديون في مختلف المذاهب الاقتصادية لإسعاد البشرية ورفع مستوى نعيمها .

فعلماء المسلمين السابقون منذ ألف عام أو أكثر لم يألوا جهداً في دراساتهم المختلفة سواء كانت تتصل بالعقيدة أو بالعبادات أو بالاقتصاد أو بالاجتماع أو بعلم النفس أو بالفلسفة أو بالرياضيات أو بشئون الحكم في اتباع أحدث الأساليب العلمية من حيث إثبات الحقائق وفرض الفروض ووضع النظريات التخمينية والنظريات الكاملة والنواميس وإثبات المراجع والأصول والتراجم ، وربط كل هذه الحقائق ربطاً منطقياً رياضياً فلسفياً عميقاً . فمن الناحية النظرية الاقتصادية يمكننا القول أن البحث الاقتصادي الإسلامى الأول بُنى على ما قامت عليه أحدث البحوث النظرية الاقتصادية

المصرية . فمثلا كان الإنسان الاقتصادي هو الأساس الذي بنيت عليه النظريات الاقتصادية الحديثة وهذا الإنسان الاقتصادي يُعرف بأنه إنسان لا يعمل ولا يبذل أى مجهود اقتصادي إلا يباعث الأثرة ، وحب الذات ودافع المنفعة . وهذا هو نفس الإنسان الذي فرضته النظريات الاقتصادية الإسلامية ؛ فالحق تبارك وتعالى يصفه في القرآن الكريم « وإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ <sup>(١)</sup> » . ثم يصفه سبحانه وتعالى في موضع آخر بقوله : « وَأُخْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ <sup>(٢)</sup> » ثم يفسر ذلك في مكان ثالث بقوله : « قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا <sup>(٣)</sup> » .

أما عن المكتبة الاقتصادية الإسلامية القديمة فلا يمكن أن ننكر أنها سبقت المكتبة الاقتصادية الحديثة بألف عام ، حيث ظهر التخصص العلمي الصحيح في المؤلفات الاقتصادية الإسلامية واضحاً منذ القرن الثامن الميلادي ؛ فهناك كتاب الخراج ليجي ابن آدم القرشي ظهر في ٢٠٣ هجرية ( أى حوالي ٧٨٥ ميلادية ) وكتاب الاكتساب في الرزق المستطاب للإمام محمد بن الحسن الشيباني صاحب أبي حنيفة ظهر في ٢٣٤ هجرية ( أى حوالي ٨١٥ ميلادية ) ثم كتاب الخراج لأحمد بن حنبل ، ثم تلا ذلك مقدمة ابن خلدون التي ظهرت فيما بين القرن الثالث عشر والرابع عشر الميلادي والتي تعتبر صورة مماثلة لكتاب « ثروة الأمم » إنجيل الاقتصاد الحديث الذي كتبه أبو الاقتصاديين آدم سميث في ١٧٧٦ ميلادية ، والذي يعتبر أول كتاب اقتصادي متخصص جامع في الدراسات الاقتصادية الحديثة . ومقدمة ابن خلدون لا تختلف كثيراً عن هذا الكتاب إلا اختلافاً بيئياً ، ورغم أن ابن خلدون قد سبق آدم سميث بخمسة قرون من الزمان فقد بحث في مقدمته الحضارة ونشوءها وإنتاج الثروة وصور النشاط الاقتصادي ونظريات القيمة والتوزيع والسكان . ثم تلا ابن خلدون في القرن الرابع عشر الميلادي القرينى وكان أكثر تخصصاً من زميله ابن خلدون فأخرج للناس كتاباً في النقود وكتاباً آخر في دورات الأعمال الاقتصادية سماه « إغاثة الأمة بكشف الغمة » بحث فيه أسباب الأزمات الاقتصادية واقترح علاجها ، وهذه الدراسات لم تظهر

(١) سورة العاديات . الآية : ٨ . (٢) سورة النساء . الآية : ١٢٨ .

(٣) سورة الإسراء . الآية : ١٠٠ .

في الاقتصاد الحديث إلا في القرن التاسع عشر ، وأيضاً ظهر في هذا الوقت كتاب « الفلاحة والفلوكن » أى الفقر والفقراء لأحمد بن على الدلجى ، وهو نوع جديد من الدراسة الاقتصادية لم تظهر دراساته وأبحاثه إلا في أوائل القرن العشرين .

يظهر مما سبق أن الدراسات الاقتصادية الإسلامية لا يمكن إنكار أنها تستحق الدراسة والبحث ، بل وتستحق الاتجاه بها إلى إيجاد دستور اقتصادى إسلامى سليم ، يقدم للمجتمع الإسلامى العلاج لمشكلاته الاقتصادية الحديثة ، أى لبناء بنية اقتصادية سليمة متكافئ تقوده سياسة اقتصادية إسلامية متكافئة ، تهدف نحو إسعاد وهناء اجتماعى كامل . وليس من السهل دراسة جميع نواحي هذه السياسة الاقتصادية الواسعة كلها ، ولذلك سوف نستعرض فى الفقرات التالية بعض النواحي الرئيسية فقط ، مقارنين بعض وجهات النظر الاقتصادية الإسلامية بنظيرتها فى الاقتصاد الحديث .

« يتبع »

### مراجع البحث

(١) مراجع باللغة العربية

- ١ - « القرآن الكريم » .
- ٢ - « التجديد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح » ( الجزء الأول ) .  
أبو العباس زين الدين أحمد الشهير بالحسين بن المبارك - القاهرة - مطبعة محمد على صبيح ١٩٣١ .
- ٣ - « معضلات الاقتصاد وحلها فى الإسلام » ( معرب عن الأوردية )  
أبو الأعلى المودودى - المطبعة السلفية ١٩٥٢ .
- ٤ - « اشتراكية الإسلام » .  
أحمد محمد رضوان - القاهرة - مطبعة دار الكتاب العربى - ١٩٥٠ .
- ٥ - « المسلمون » مجلة إسلامية تصدر كل شهر عربى  
سعيد رمضان - القاهرة - ١٩٥٢ - ١٩٥٣ .

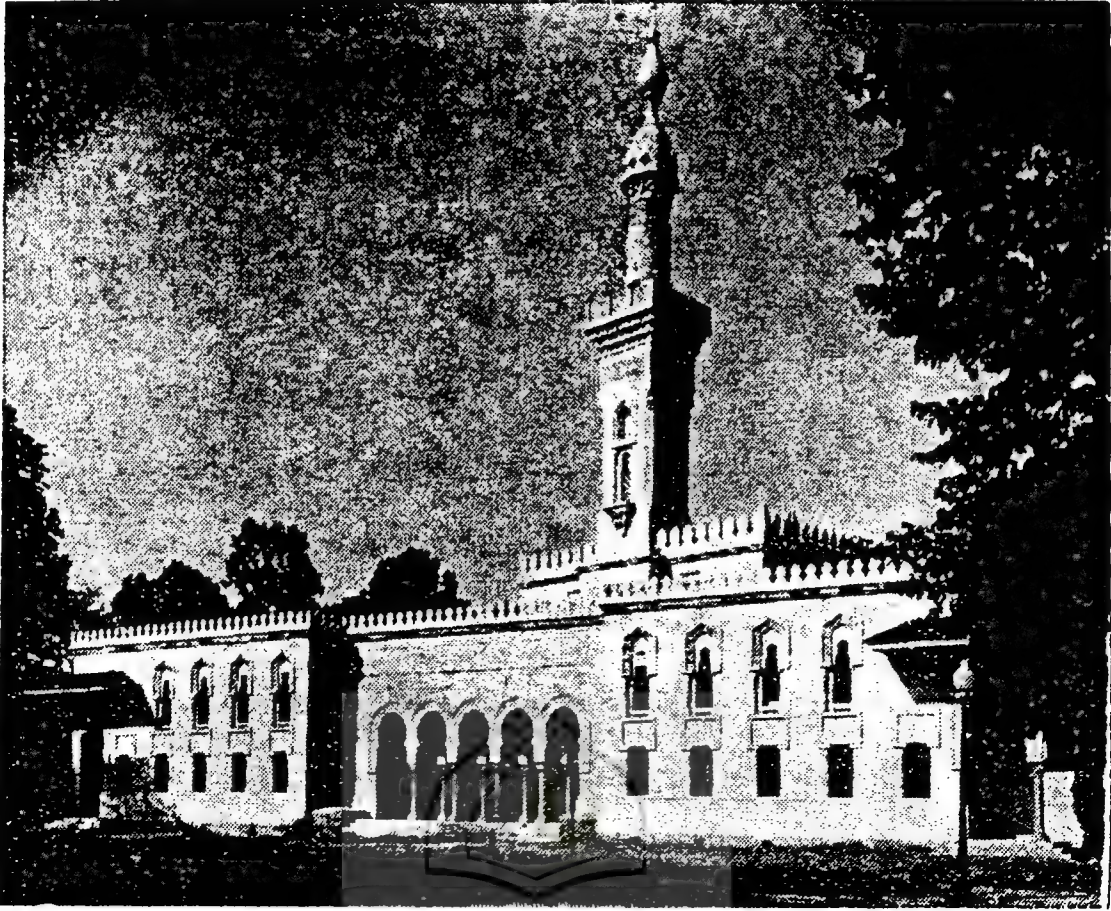
- ٦ — « العدالة الاجتماعية في الإسلام »  
سيد قطب — القاهرة — مكتبة مصر ومطبتها — ١٩٥٢ .
- ٧ — « مقدمة ابن خلدون »  
عبد الرحمن بن خلدون المغربي — القاهرة — المطبعة والمكتبة السعيدية — ١٩٣٠ .
- ٨ — « كتاب الفقه على المذاهب الأربعة » ( الجزء الثالث ) قسم المعاملات  
عبد الرحمن الحريري — القاهرة — شركة فن الطباعة — ١٩٥٢ .
- ٩ — « المال والحكم في الإسلام »  
عبد القادر عودة — القاهرة — مطبعة دار الكتاب العربي — ١٩٥١ .
- ١٠ — « مختصر أحكام المعاملات الشرعية »  
على الخفيف — القاهرة — مطبعة السنة المحمدية — ١٩٥٢ .
- ١١ — « الإسلام على مفترق الطرق » ( ترجمة الدكتور عمر فروح )  
ليوبولد فايس — بيروت — دار العلم للملايين — ١٩٥١ .
- ١٣ — « كتاب الخراج » ( صححه أحمد محمد شاكر )  
يحيى بن آدم القرشي — القاهرة — المطبعة السلفية ومكتبتها — ١٣٤٧ هجرية .

(ب) مراجع باللغة الإنجليزية

- 1 — Haberler Gottfried, *Prosperity and Depression* ; Lake Success, N.Y., United Nations, 1946,
- 2 — Harris Seymour, E. (Ed.), *The New Economics* ; New York, Alfred A. Knope, 1947.
- 3 — Keynes, J.M., *General Theory of Employment, Interest and Money* ; New York, Harcourt, Brace and Company, 1936.
- 4 — Mitchell, Wesley., *Lecture Notes on Typers of Economic Theory* ; New York, Augustus M. Kelley, 1949.
- 5 — Ricards, David, *Principles of Political Economy and Taxation*, Ed. by E.C. Gouner ; London, 1891.
- 6 — Roll Eric, *A History of Economic Thought* ; New York, Prentice Hall Inc., 1947. Pp 9—28.
- 7 — Smith Adam, *An Inquiry Into The Nature and Causes of Wealth of Nations* ; New York, The Modern Library, 1937,



## مسجد واشنطن



في أجل أحياء واشنطن . .  
وبين سفارات الدول الكبرى ...  
وبين أبراج الكنائس التي تملأ عاصمة أمريكا ...  
شق هذا المسجد طريقه مطلاً عليها جميعاً في روعة وجلال ، وبدأ يهمس في جو أمريكا  
المأخوذ بدعوة الإسلام ، واتجه إليه كثيرون يشهدون جمال الذوق العربي في العمارة ، ويسمعون  
إلى المحاضرات التي تلقى فيه شارحة حقائق دين الله ، رادة على الشكوك التي يبق عليها سوء  
فهم الغرب للإسلام ، ويزيدوا الأعداء المتربصون الذين يملكون كل وسائل النشر والإذاعة  
والإعلان !!

\*\*\*

قام على بناء هذا المسجد بهمة واحسان الأستاذ الفاضل السيد كامل عبد الرحيم سفير مصر  
— السابق — في أمريكا ، ويقوم على نشاطه الآن — بما يتيسر له من وسائل — الأستاذ  
الدكتور محمود حب الله . والله المسئول أن يتقبل منهما ويحسن جزاءهما ...

\*\*\*

ولكن هذا المسجد لم يتم بعد ، وعار على المسلمين جميعاً أن يضنوا عليه بالمال اللازم لتكملة (\*) ...  
ويؤسفنا أن تتخلف بعض الحكومات العربية عن دفع نصيبها في نفقاته ...

(\*) عنوان المسجد Islamic Center Mass Avenue Washington D.C.



# ناروسنا

\* عواطف مشكورة

\* نبوءة

\* حول الربا

\* الدستور الإسلامي

## عواطف مشكورة

« تصل إلينا كل يوم رسائل رقيقة من إخوة عزاز في أنحاء العالم الإسلامي يطلبون فيها الاشتراك ، ويعبرون عن عاطفتهم نحو مجلتهم « المسلمون » ، وهي عاطفة نشكرها وتقديرها ، ونسأل الله أن يجعلنا أهلاً لأمانتها ، ولئن قصرت بنا المشغلة عن الرد على كل منهم على حدة ، فإن لقاءنا الدائم في كل عدد صلة متجددة ! » .  
« التحرير »

وهذه رسالة من الأخ العزيز الأستاذ عادل عيد :

« وبعد ، فقد أورد الأستاذ سيد قطب في نهاية مقاله « حاجة البشرية كلها إلينا » المنشور في « المسلمون » بالعدد العاشر من السنة الثانية العبارة الآتية : « والبشرية كلها ستعرف يوماً أن نبوءة الله حق : » وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ... » .

وأرى أن نسبة النبوءة إلى الله سبحانه في غير محلها ، إذ أن الله لا يتنبأ — سبحانه — ولكنه ينبيء ويخبر ويعد — ووعد الحق — وهو عالم محيط

بما كان وما سيكون ، إنما التنبؤ من فعل البشر ، وقد يخطئ تنبؤهم وقد يصيب ، ولا أشك أن أستاذنا الجليل سيد قطب لا يعنى إلا هذا .  
فأرجو لو أفسحتم لهذه السطور في ندوتكم ، وشكر الله لكم .

\*\*\*

ونحن نشكر للأخ الكريم ملاحظته ونترك للأستاذ الفاضل سيد قطب الرد عليها .

وجاءتنا هذه الرسالة من الأستاذ حسين السراج المدرس بدير الزور بسوريا :

أخي الحبيب الأستاذ سعيد رمضان .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وبعد : إن الإسلام أحوج ما يكون اليوم إلى دعاة ذوي علم وتقوى وهمة ونشاط .  
يبينون للناس حقيقة الإسلام وصلاحه لكل عصر ومصر ، يدفعون الحججة بالحجة ويدعون إلى سبيل ربهم بالحكمة والوعظة الحسنة ، في زمن كثر فيه دعاة السوء ونصراء الباطل وأعوان الغرب وعليلد المطامع والشهوات .

فكانت مجلة ( المسلمون ) من أكبر الدعاة وأعظمهم تأثيراً ، وكانت محببة إلى القلوب يتحين المؤمنون ورودها وتتلفها الأيدي وتقرأ بشغف وشوق .

ولا غرابة في ذلك مادام رئيس تحريرها أخاً صادقاً ، نذر نفسه للدعوة إلى الله بحب الأرض بنفسه كما تجوبها مجلته ، ومادام كَتَّاب ( المسلمون ) من أبرز المصلحين الذين يجمعون بين العلم والتقوى . وما دامت مجلة ( المسلمون ) هي الوحيدة من نوعها وكان المفروض أن تتمدد المجلات من هذا النوع . أحسن الله جزاء العاملين وضاعف الأجر للمصلحين ، وجمع كلمة المسلمين على البر والتقوى .

أخي : كتب الأستاذ الفاضل محمد أبو زهرة عن ( الربا ) وسرنا ما كتب كما سر لذلك كل مسلم يهمه الاطلاع على الفقه الإسلامي ، وكان البحث مفيداً موفقاً معجباً كل الإعجاب . ولقد وددنا أن يتحدث الأستاذ الكريم عن ناحية مهمة تتعلق بالربا ويجري فيها خلاف واسع وجدال مرير .

وإننا نرجو من أستاذنا العليم أن يتم بحثه ويتحفنا بالإجابة على السؤال الآتي :

هل يوجد فرق بين الأوراق النقدية التي أصبحت أداة التعامل ( كالجنه المصري والدينار العراقي والورق السوري ) وبين الذهب والفضة من حيث الربا ، وإذا كان ثمة خلاف فماذا تعتبر تلك الأوراق النقدية ؟ . هل يجوز اعتبارها عروض تجارة مع أنها أثمان لكل ما يباع ويشترى ؟ بل إن الذهب والفضة أصبحا غير مستعملين في التعامل ولا يستعملان إلا للزينة فقط . وما هو الدليل على استعمال الأوراق النقدية كالذهب والفضة أو عكسه عروض تجارة ؟ .

هذا ما أرجو الأستاذ الكريم أن يجيب عليه ، وإنا لذلك لمنتظرون .  
وختاماً أسأل الله للمجلة دوام توفيق ، وجميع من عرفت في الدير يهدونك أجزل التحيات ويدعون لك بالتوفيق ، ودم بخير لأخيك المشتاق » .

\*\*\*

ونحن نشكر للأخ العزيز الأستاذ حسين تحيته واهتمامه .  
وقد تفضل فضيلة الأستاذ الشيخ محمد أبي زهرة مشكوراً بالإجابة على سؤاله فيما يلي :

« حضرة الأستاذ الفاضل السيد حسين السراج

وصل إلى كتابك الكريم ، إذ أحالته على مجلة ( المسلمون ) الزاهرة ، ولكنه وصل في مزدحم من أوراق الامتحان وأعماله ؛ وأيام الامتحان في ذاتها غلاظ شداد ، ولذلك لم أستطع قراءته وإعطاءه حقه في إجابته . ولما اطلعت عليه بعد أن انكشفت غمّة الامتحان قليلاً ، وجدت موضوعه في حاجة إلى التجلية والدراسة مادامت قد قامت شكوى حول دخول الربا في الأوراق النقدية ؛ وإني لأرجو أن أتصدى لذلك بالبيان في وقت مناسب قريب .

وقبل أن يواتيني ذلك الزمان أسارع فأقرر أن الربا يدخل في النقود الورقية ، وأن الزيادة فيها في نظير الأجل هي ربا لاشك في ذلك ، وذلك لسببين :

أولهما : أن هذه النقود من المثليات بلاشك ، وأنها يجري فيها القرض ، وأنها تكون ديونا تثبت في الذمة ؛ فيجری فيها ما يجري في الديون من أحكام ، وإن ربا الجاهلية الموضوع بقول الرسول ، وبحكم القرآن هو ربا الديون — وهو ربا النسيئة المجمع على تحريمه — وإن ذلك يكون في الديون الثابتة بالبيع أو القروض

أو نحو ذلك ، ويكون بالزيادة في الدين في نظير التأجيل ، وذلك يتحقق بلا شك في الأوراق النقدية .

وإن القرآن الكريم لما ذكر الربا وقال : « وإن تبتم فلكم رءوس أموالكم لا تَظلمون ولا تَظلمون » كان الحكم عاما لكل الديون ، ولم يخص ديون الذهب ، أو ديون الفضة أو غيرها من المعادن النقدية ، فكل ما يتحقق فيه المثلية التي يمكن أن تعرف بالتقدير والجنس والنوع والصفة ، ويثبت في الذمة ، فإن الربا يتحقق فيها إذا كانت الزيادة للتأجيل .

ثانيهما : أن الأوراق النقدية إذا أردنا تطبيق المعاني الفقهية أنها تمثل الفلوس ، وهي النقود التي من غير الذهب والفضة ، فالورقة ذات المائة تمثل مائة قرش ، وذات الخمسين تمثل خمسين قرشا ، وإن الفلوس بلاريب يجري فيها الربا .

وإني لهذه المعاني أستبعد كون النقود عروضاً ؛ لأن في معناها أن تكون مشبعة لحاجة بنفسها ، والأوراق ككل النقود لا تشبع حاجات بنفسها ، إنما هي مقاييس للمالية الأشياء من عروض وعقارات وغير ذلك من أنواع الأموال .

وإني - قبل ختام هذه الإجابة العاجلة الموجزة - أقرر أن المثليات من العروض إن كانت ديونا يجري فيها ربا النسيئة المحرم بالإجماع ، فمن اقترض من شخص ثلاثين إردب قمح من نوع معين وبوصف معين ، فلم يؤدها في موعد الأداء ، أو عند طلبها ، فلا يصح له أن يزيد في نظير التأجيل بعد الطلب ؛ لأن ذلك يكون ربا بلا شك ولاريب .

وإن هذه الإجابة ، وإن لم تكن مشبعة ، هي كلمة أكتبها لأبرئ ذمتي بدفع كل شك قبل أن أتولى الإجابة المقنعة ؛ وإني أضرع إلى الله تعالى أن يغفر لي خطئي ، وأن يلهمني الصواب ، والسلام عليكم ورحمة الله .

وهذه رسالة من السيد منذر شاكر سليم من بغداد يقول فيها :

.. وبعد : فقد اطلعت على ( العدد العاشر ) من السنة الثانية من مجلتكم ( المسلمون ) وما هي بمجلة ولكنها ( مدرسة ) يلتقي عليها المسلمون شرقاً وغرباً ،

وما أريد أن أكيل المديح فأنا أعلم أن طلب المدح ليس من صفاتكم فقد أسلمتم عملكم ونيتكم لله .

أقول لقد اطلعت على هذا العدد وكان موضوع ( الدستور الإسلامي ) للأستاذ الدكتور محمد عبد الله العربي قد جلب انتباهي فأخذت أقرؤه مرة ومرة حتى استخلصت بعض الملاحظات حول هذا الموضوع التي أراها جديرة بأن ألفت نظركم إليها ، وعلى خطي في بعضها أو كلها ، وعلى كل فلي من سعة صدركم ما يشجعني على أن أبعث بها إليكم ، هذا وإنني أعلم تماماً بأن الأستاذ الدكتور لم يقصد من وراء مقالاته وكتاباته إلا منفعة الإسلام والمسلمين .

وإليكم هذه الملاحظات :

١ - ذكر الأستاذ في مقاله ص ٩٦٥ ( أن بعض أحداث طيبة تمت خلال الشهرين الأخيرين دلت على تجاوب الشعوب في كثير من البلدان الإسلامية . . . بما يكفل قدراً من التضامن والتعاون بين قواتها العسكرية ) ثم ذكر أنه يرجي منها خير كثير ولكنه لا يكفي لسبيين . . . .

وإنني أعتقد أن هذه المؤتمرات ( الحكومية ) لا يمكننا أن نجزم بأنها منبثقة من الشعور الشعبي الإسلامي وذلك لسبيين :

( ١ ) أن المجتمعين لا يمثلون الشعوب الإسلامية ولا الشعور الإسلامي بالمعنى الصحيح ، فهم صورة واضحة للحكومات التي أوفدتهم .

( ٢ ) إن هذه الحكومات لا تتمتع بحرية واستقلال تامين وذلك مما يجعلنا نؤكد بأن للاستعمار يداً أو منفعة في عقد مثل هذه المؤتمرات .

ثم ولو كانت القرارات المتخذة غاية في توثيق الروابط وزيادة التعاون فإنه لا فائدة لها لأن [ العدل في نفس القاضى وليس في نص القانون ] .

وعلى هذا لا يمكننا الاعتماد على هذه الحكومات ومؤتمراتها .

٢ - ذكر في ص ٩٧١ ( وفي هذه القمة تسندها كالبنيان المرصوص جميع الدول الإسلامية ولكل منها دستورها المحلي ) ثم ( فلتختر كل دولة الوضع الأكثر ملاءمة لبيئتها والأكثر اتساقاً مع سياقتها التاريخي وتكوينها الجغرافي والأكثر تجاوباً



مع الاستعداد السياسى لشعبها من ملكية مقيدة بالشورى إلى جمهورية رياضية إلى جمهورية برلمانية . . . الخ ) .

أعتقد أن الدول الإسلامية المتعددة لا وجود لها في ظل الحكم الإسلامى الصحيح ، ولعله يعنى الدول فى أول نشوئها أى فى الطور الذى يوصلها للاتحاد التام بإزالة الحدود وغير ذلك .

ثم إنه ليست هناك دساتير متعددة — لكل دولة دستور — وأعتقد أن الأصح هو أن تختار نظاماً يتفق وطبيعة تلك البلاد لأن الدستور يحتوى على تنظيم علاقات الدولة مع الدول الأخرى . وهذا النظام لا يختلف عن النصوص والتعاليم الإسلامية . ٣ — ذكر فى ص ٩٧٢ ( ولذلك أشرنا بأن تأخذ الدولة الإسلامية المؤتلفة فى الطور الأول من قيامها بالوضع الائتلافى المحدود النطاق فتحتفظ كل دولة إسلامية فى إطار هذا الائتلاف بذاتيها واستقلالها وبسيادتها الداخلية والخارجية كاملة ولكنها تتحد معاً فى العمل المشترك . . . ) و ( فهى تعمل معاً فى حيز هذه الأهداف كأنها دولة واحدة وفيما عداها تسترد حريتها كاملة فى الميدان الداخلى وفى الميدان الدولى ) .

صحيح إذا قصد الأستاذ فى تكوين هذا الائتلاف خطوة أولى فى تكوين الدولة الإسلامية الموحدة . ولكننى من جهة أخرى ، أرى أن الأستاذ الدكتور يتصور أن الدولة الإسلامية ستقوم عن طريق ( حكوى ) وعلى يد هذه الحكومات التى يطلق عليها مجازاً ( إسلامية ) فى حين أن أكثر هذه الحكومات تحارب الإسلام علناً وخفية ، وتعاون مع الاستعمار على ذلك علاوة على الكيد بعضها لبعض .

ثم يذكر أن الدولة الإسلامية المؤتلفة تعمل ( كأنها دولة واحدة ) .

وإنى أرى أن تعمل ( دولة واحدة ) ولسنا فى حاجة إلى ( كأنها ) .

٤ — ذكر فى ص ٩٧٢ ( فلن تمنع الدول الإسلامية جميعاً — فى مستوى النضوج الذى بلغته الآن — فى أن تمهد إلى هيئة حكومية مشتركة تمثلها جميعاً — بمهمة تنسيق سياستها الاقتصادية والدفاعية بما يحقق التعاون الوثيق والتكافل الناجز بينها وبقيء خيرها عليها — جميعاً — مع احتفاظ كل منها باستقلالها الكامل إلا فيما يقتضيه العمل على إنجاز هذين المطلبين ) .

ولا أدري أى دول يعنى الأستاذ والحال كما نرى ! ؟

٥ - ذكر فى ص ٩٧٣ شكل هذه الهيئة الحكومية .

وإنى لا أوافقه على ذلك لسببين .

( ١ ) أنه ما دامت هذه الدول غير قابلة لتكوين مثل هذه الهيئة فلا داعى

إذن إليها .

( ٢ ) أن خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ينتخب طول العمر ما لم يخطئ

ويحيد عن جادة الصواب ويصر على خطئه ، فلا داعى لانتخابه كل سنة .

٦ - ذكر فى ص ٩٧٣ ( ولا تلجأ إلى الخارج وتستجديه فى أى مورد

- مادى أو بشرى - إلا إذا انعدم هذا المورد عند الأعضاء ) .

وأعتقد أنه لا حاجة إلى ( الاستجداء ) ، فإن أعوزت البلاد الإسلامية إحدى

الموارد دفعت ثمنه فهو ( شراء ) وليس ( استجداء ) .

هذا وإنى لست مصراً على آرائى إن وضع خطؤها . والله أكبر والله الحمد .

\*\*\*

ونحن نقدر عاطفة الأخ السيد منذر ونشكره على اهتمامه ، وترك للأستاذ

الدكتور محمد عبد الله العربى الرد على رسالته .

©©©

« من قرت عينه بالله قرت عيون الناس بالنظر إليه » .

يحيى بن معاذ

# إِنَّ بَيْنَكَ وَعَلَيْكَ حَقًّا

بإشراف الأمير الـاي الدكتور أحمد الناقه

س ١ : هل من سبيل للوقاية من الإنفلونزا ؟

ج ١ : ما زال الطعم الواقي من الإنفلونزا محل تجربة .

\*\*\*

س ٢ : هل يمكن توقي الحصبة ؟

ج ٢ : لا ، ولكن يمكن منع المضاعفات بالبنسلين .

\*\*\*

س ٣ : تكبر الرقبة كثيراً وتتدلى ، فما السبب وما العلاج ؟

ج ٣ : قد يكون ذلك من شحم البدانة أو تضخم الغدة الدرقية ، ويحسن استشارة الطبيب في طرق العلاج .

وقد تكبر الرقبة قليلاً عند البلوغ والحيض والحمل من أثر تضخم صغير بالغدة الدرقية ، وهذا يزول من تلقاء نفسه ، فلا داعي للعلاج .

\*\*\*

س ٤ : كثير العيال كيف يتقى الذرية ؟

ج ٤ : ١ — بلباس مطاط رقيق للإحليل أو سميكة لعنق الرحم أوهما معاً .

٢ — الإنزال خارج المهبل .

٣ — اللبوس أو الغسول .

وهذه قد تعين على قلة النسل ، ولكنها لا تضمن منعه إطلاقاً .

\*\*\*

س ٥ : لا يخلف لأن منيه خال من الحيوانات المنوية فما العلاج ؟

ج ٥ : إما أن مجرى المنى مسدود ، وهنا قد تفيد الجراحة ، وإما أن الخصيلتين

لا تفرزان الحيوانات ، وهنا قد تفيد الهرمونات ( خلاصة الغدد التناسلية ) .

س ٦ : طال المرض وزاد الألم ويئس المريض وأهله من الشفاء ، فهل يستجيب الطبيب لرغبتهم ليربحه من الحياة ؟

ج ٦ : لا ، على الطبيب أن يزيل الألم ، لا أن يزهد الأرواح .  
وقد يخطئ الأطباء . . « وما أوتيتم من العلم إلا قليلا » .

\*\*\*

س ٧ : ألم بأسفل أيمن البطن هل هو زائدة دودية ؟  
ج ٧ : ربما . وقد يكون التهاباً رئوياً ، روماتزماً ، غدة درقية ، التهاب أعصاب جهاز بولي تناسلي ، أمراض الحوض ، الفصامات وغيرها .

\*\*\*

س ٨ : هل من الحكمة أن يعرف المريض خطورة حالته ودنو أجله ؟  
ج ٨ : ليس من الرحمة أن يعلم المريض ذلك ، ولا بأس أن يسر الطبيب بذلك إلى بعض خاصة أهله .

\*\*\*

س ٩ : متص شديد بالجانب الأيمن وبول دموي لمزمن .  
ج ٩ : قد يكون من بلهارسيا في أهل الريف ويعالج بالحقن ، وقد يكون من حصي بالكلية اليمنى في أهل الريف والحضر ، والحصي الصغير يعالج بمدرات البول والحصي الكبير بالجراحة .

\*\*\*

س ١٠ : سيدة تنزعج من أقل الأصوات : الأطفال والإذاعة والشارع ، ويوقظها من النوم حتى الأصوات الخافتة فما السبب وما العلاج ؟  
ج ١٠ : مرض الأذن قد يسبب حساسية شديدة في حالات قليلة ، ولكن أكثر الحالات اضطراب نفسي قد تنفعه المنومات أو المهدئات أو غطاء الأذن عند النوم .

\*\*\*

س ١١ : مات وحيد فضمر جسمه وكثر بوله واتضح أن الحزن أعقب داء السكر  
ج ١١ : الحزن الشديد لا يسبب داء السكر ولكنه يظهر السكر الكامن . ويزيد السكر الظاهر من أثر الصدمة العصبية . وقد يظهر السكر بعد الحوادث نتيجة الصدمة النفسية ، أو إصابة المخ والبنكرياس إصابة مباشرة .

## بَابُ الْكِتَابِ : نَفْدٌ وَتَعْرِيفٌ

- ١ - « الفتح الرباني » لترتيب مسند الإمام ابن حنبل ، ومعه « بلوغ الأمانى » تعليق عليه ، للأستاذ الجليل الشيخ أحمد عبد الرحمن البنا
- ٢ - المجاهدون ، للأستاذ محمد فهمى الطهاوى ، المطبعة السلفية عام ١٩٥٣ ، ١٥٩ ص م .

### ١ - الفتح الرباني

من حسن جدّ الفقه الإسلامى أن أخذت المطالبة تشتد منذ سنوات بضرورة تجديد هذا القانون الإلهى ، وذلك بالرجوع إلى مصدريه العظميين المقدسين : كتاب الله المحكم وسنة رسوله الصحيحة ، وهذا بعد أن ران الجمود والتقليد على العقول والقلوب قروناً طويلة ، مما جعل الشريعة الإسلامية كما نعرفها من كتب القدامى تتأخر عن السير مع الحياة المتجددة دائماً .

ونعتقد أنه ليس من سبيل إلى هذا الذى نطالب به إلا بإحياء كتب السنة ونشرها نشرًا علميًا محققًا ، حتى يكون ميسورًا الرجوع إليها والإفادة منها ، ثم بالمكوف من الفقهاء الأكفاء على فهم آيات وأحاديث الأحكام وتعمقها ، لتكون هى الضوء الذى ينير لنا طريق هذه الحياة فى جميع نواحيها .

والإمام أحمد بن حنبل المتوفى عام ٢٤١ هـ ، هو كما نعرف أحد أصحاب المذاهب الأربعة فى الفقه ، وكان فوق هذا إماماً فى الحديث وضروبه والسنة ودقائقها كما يذكر ابن العماد الحنبلى فى شذرات الذهب<sup>(١)</sup> . لا جرم إذن ، أن يكون مسنده فى الحديث من أجل كتب السنة وأعلاها قيمة وخطراً .

إلا أن طريقة الإمام فى ترتيب هذا المرجع العظيم لا تجعل الإفادة منه فى ناحية الفقه ميسورة إلا للنادر جداً من العلماء الصبورين على البحث وعنائه ؛ فقد رتبته —

(١) ج ٢ : ٩٦ ؛ وراجع أيضاً تذكرة الحفاظ ، ج ٢ : ١٧



كما يدل عليه اسمه — على مسانيد الصحابة مبتدئاً بأبي بكر رضوان الله عليه ، بأن  
يورد كل الأحاديث التي يرويها كل من الصحابة الذين أخذ عنهم دون نظر إلى  
موضوعاتها ، ولهذا يكون عسيراً كل العسر أن يهتدى الناظر فيه إلى حديث يريده  
بعينه ، كما لا يستطيع أن يجمع بين الأحاديث الشتى التي وردت في باب أو موضوع واحد .  
كان لابد إذن أن يتعاون بعض العلماء المحققين لترتيب هذا المسند الضخم ترتيباً  
يجعل الإفادة منه ميسورة محققة ، وكانوا لو تم لهم هذا العمل حريين بالشكر من الله  
والناس . على أن هذه الأمانة لم تتحقق ، حتى انتدب لها نفسه رجل واحد استعان  
بالله فأعانه ، واستهداه فهداه . وقد أسعفه على مناصب له نفسه حب لله وكتابه ورسوله  
وسنته ، ومعرفة بالفقه وأحكامه ، وبصيرة نيرة ، وإرادة لاتنثنى أو تبلغ ما تريد ، وهو  
الشيخ الجليل أحمد عبد الرحمن البنا .

ولشيخنا الكبير ولوع منذ الطفولة بكتب السنة ، فقرأ الكتب الستة وغيرها  
من الأصول المعتبرة عند المحدثين ، ثم انتهى بأن شغل نفسه الكبيرة بالمسند  
لابن حنبل منذ عام ١٣٤٠ هـ<sup>(١)</sup> ، فبان له أنه لابد من ترتيبه على كتب وأبواب  
وفصول ، يجعل في كل منها ما يدور من الأحاديث حول موضوع واحد سواء في الفقه  
أو غير الفقه من نواحي الشريعة الإسلامية ؛ فأقبل على العمل ، وقد أعد له عُدتّه  
بعزم لا يقل وهمة لاتعرف الملل ، واقفاً عليه كل ما في طوقه من وقت وجهد ومال ،  
حتى انتهى من تبليغه أخيراً عام ١٣٥١ هـ<sup>(٢)</sup> .

وقد كان حرياً به وقد أنجز هذا المهم الكبير على خير وجه ، وقدم به للراغبين  
في الإفادة من السنة أجل فائدة ، أن يرضى ويفتبط بما وفقه الله إليه . ولكن نفسه  
الكبيرة التي تتطلع إلى الكمال أبت عليه إلا أن يضيف إلى هذا العمل المجيد عملاً آخر  
لا يقل عنه مجادة وجدوى ، فقام بالتعليق على المسند بعد أن رتبته كما أراد ، فكان  
هذا التعليق تفسيراً جيداً للمسند إلى جانب مزايا أخرى نشير إلى بعضها<sup>(٣)</sup> .

فقد رأى حفظه الله في ترتيب المتن أن يحذف السند « تقريباً للفائدة ونفياً للملل

(١) راجع ص ١٢ من ١٠ . (٢) راجع ص ٢٤ من الجزء نفسه .

(٣) راجع ص ٣ - ٤ من ج ١ ، أسفل .

والسامة» في هذا العصر ، وله في ذلك أسوة حسنة بما فعل الإمام البغوي في كتابه مصابيح السنة ، والحافظ ابن كثير في كتابه جامع الأصول وغيرهما . إلا أنه يعلم ما لذكر الأسانيد من فائدة ، بل هو كما يقول عند الحفاظ والإخصائيين من رجال الحديث نصف علومه ؛ لهذا رأى أن يأتي على السند كاملاً في التعليق ، وبهذا جمع بين الحسنين . وكذلك ضبط غريب المتن وشرحه شرحاً موجزاً شافياً ، وترجم — في المناسبات — للرواة من الصحابة وغيرهم ، وبين حال كل حديث مع ذكر من أخرجه غير ابن حنبل ، راجعاً في ذلك إلى أمهات المراجع المعتبرة . ثم ، وهذا أمر هام جداً ، أشار في كل باب إلى ما يستفاد منه في الفقه ، مع ذكر من ذهب إليه وأخذ به من الأئمة المجتهدين ، مضيفاً إلى ذلك كله شواهد وفوائد أخرى في كثير من المواضع .

وأخيراً ، هذا الكتاب الضخم الجليل كيف رتبته صاحبه على وجه يجعل الفائدة منه ميسورة ومحقة كما قلنا ، يذكر شيخنا الكبير أنه قسم الكتاب مرات متعددة لم تطمئن نفسه لواحدة منها ، ثم سأل الله أن يختار له ما فيه الخير فألهمه هذا التقسيم العجيب الذي لا يعلم أن أحداً سبقه إليه<sup>(١)</sup> .

وهذا الترتيب يجعل الكتاب سبعة أقسام ، وكل قسم منها يشتمل على جملة من الكتب ، وكل كتاب يندرج تحته جملة أبواب ، وربما انتظم الباب من هذه الأبواب عدة فصول<sup>(٢)</sup> .

فالقسم الأول للتوحيد وأصول الدين ، والثاني للفقه بمختلف أنواعه من عبادات ومعاملات وأحوال شخصية وعادات وأقضية وأحكام ، والثالث لتفسير القرآن ، والرابع لأحاديث الترغيب ، والخامس لأحاديث التهيب ، والسادس للتاريخ ، والسابع وهو الأخير لما جاء من الأحاديث في الفتن وأحوال الآخرة .

وبعد ! هذا العمل الكبير الذي قضى فيه الشيخ الجليل أحد عشر عاماً حتى أتمه ، ثم بذل في سبيل طبعه ونشره كل ما يملك من مال وجهد حتى ظهر منه حتى الآن أربعة عشر جزءاً ، وهو يمشي لأجله وفي سبيله كل هذه السنوات الطويلة وهي

(١) ص ٢٤ .

(٢) راجع في تفصيل ذلك وبيان كتب كل قسم وأبواب كل كتاب ... ص ٢٤ - ٣٠ .

نحو ثلث قرن من الزمان — نقول هذا العمل الذي لا ينهض به عادة فرد من الناس إلا بعون من الله ، يجب أن يتعاون أهل الخير والعلم على إتمام طبعه وتعميم نشره ، وحرى بالمسلمين جميعاً أن يقبلوا عليه وعلى الإفادة منه ، وبخاصة الذين يلحون في ضرورة تجديد الفقه الإسلامي بالرجوع إلى الكتاب والسنة من الإخوان المسلمين وغيرهم .

ولا نبالغ إن قلنا إنه عمل لم يسبق له مثيل ، ولم يقبل على مثله في زمننا فرد لا تسنده جماعة أو جهة من جهات الخير والعلم . كما لا نطلب كثيراً إن توجهنا إلى الأزهر ، والإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية ، ووزارة المعارف بمصر وغير مصر من البلاد الإسلامية ، أن تعين كلها على تعميم الإفادة من هذا العمل المجيد ، وبخاصة وقد أنشأت جامعة الدول العربية معهد الدراسات العربية العليا وللغة الإسلامية في هذه الدراسات مكانة ملحوظة ، كما أن العناية به وبمراجعته الأصلية تتزايد من يوم لآخر . والله يوفق للخير ، ويعين عليه ، ويهيئ لنا من أمرنا رشداً .

\*\*\*

## ٢ - المجاهدون

إذا كان العالم الغربي يعيش منذ أوائل هذا القرن العشرين في ظل الحروب والقتال ، جرياً وراء الاستعلاء والسلطان ، فإن العالم الإسلامي أو الشرق يعيش كذلك في ظل الجهاد ، ولكنه الجهاد المشروع للدفاع عن الدين والوطن ضد هؤلاء المستعمرين الظالمين المعتدين .

وهذا كتاب لطيف عني فيه مؤلفه الفاضل بتعريف الجهاد في الإسلام وأنه مشروع ، ثم بالكلام عن مظاهر هذا الجهاد وضروبه المختلفة ، ومن هذه الضروب الجهاد السلمي أو مقاطعة العدو بأسهل سبيل ( ص ٥ - ٨ ) .

وبعد ذلك نراه يتحدث عن الحرب وأقسامها في عرف القانون الحديث ، ويبين أنها على أي قول هي ضرورة اجتماعية مادام في العالم أقوياء ظالمون . ثم يتعرض في إجمال دقيق لبيان أن الإسلام دين السلام ( ص ١٦ - ٢٢ ) ، ويسوق لذلك بحق آيات كثيرة من القرآن كلها تبين هذا وتدعو إليه .

فإذا فرغ من هذا أو ذاك ، أدار الحديث على مشروعية القتال في الإسلام وأسبابه ، ومن هذه الأسباب موقف قريش واليهود وسائر الكفار من الدعوة الإسلامية ، وفي هذا رد أي رد على ما يرمى المبشرون به الإسلام من تحبيذه للحرب وانتشاره بها ( ص ٢٣ - ٤٣ ) .

وكل محارب أو مجاهد يرجو النصر ، وهذا النصر له أسبابه المادية والمعنوية ، فكان لابد للمؤلف من الحديث عن ذلك كله ، وقد فعل في إيجاز ممتع واف ( ص ٤٤ وما بعدها ) .

وقد كان من الطريف بعد ذلك كله ، أن تعرض المؤلف في إحسان إلى المرأة ودورها في الجهاد ( ص ١٢٤ - ١٣٠ ) ، وإلى حرب العصابات أو الفدائيين ( ص ١٣١ وما بعدها ) ، وقد جعل من هذا ما كان يسمى في عهد الرسالة « بالسرايا » ، ولعله مصيب فيما رأى ، كما بين حكم القانون الدولي في هذا الضرب من الحرب ( ص ١٣٥ - ١٣٧ ) .

وقد ختم الأستاذ كتابه الممتع بالحديث عن الفتح الإسلامي وأثره الطيب في العالم كله ، وعن الغاية منه ( ص ١٤٤ وما بعدها ) ، وعما كان عنه من النهضة الأوروبية في كثير من العلوم والفنون ، واستشهد في هذا السبيل ببعض كتّاب أوروبا أنفسهم .

نحن إذن ، إزاء رسالة ممتعة مفيدة على وجازتها ، ومما لا ريب فيه أن الناشئة المسلمين سيجدون فيها زاداً لنفوسهم ، وفوائد كثيرة لمقولهم ما

محمد يوسف موسى

« رأس التواضع أن تضع نفسك عند مَنْ دونك في نعمة الدنيا حتى تعلمه أنه ليس لك بدنياك عليه فضل ، وأن ترفع نفسك عن هو فوقك في الدنيا حتى تعلمه أنه ليس له بدنياه عليك فضل » .

« ابن المبارك »

## كلمة صغيرة

. سمعت عبد الوهاب الذى يعدونه أكبر مغنى العرب اليوم ، يردد من الإذاعة أغنية يكاد لحنها ينكب على وجهه من الضعف ، ويدخل بعضه فى بعض من التخاذل ، يقول فيها : « الدنيا سيكارة وكاس » .

إي والله ، أحلف لكم لتصدقوا ، ويردها لتستقر فى الأذهان ، أذهان الصغار الخالية التى تنتظر كل ما يلقى إليها ، ليستقر فيها ، أذهان أبنائنا وبناتنا ، ثم يعطى الحكم فى الصالحين العاقلين ، بأن لهم الويل .

« ويل لمن ليس له كاس ، يا ويله ، يا ويله » .

يقول الإسلام : « إن الويل للشاربين » ويقول هذا الفاجر : « الويل لمن لا يشرب » ويعلن ذلك فى مصر الإسلامية ، مصر التى فيها الأزهر ، وفيها الإخوان ، وفيها الرجل المسلم الصائم المصلّى محمد نجيب !

الدنيا سيكارة وكاس ! أهذه هى الدنيا ؟ وأين دنيا الكارم ؟ وأين دنيا البطولات ؟ وأين دنيا العلم والفن ؟ أنهض هذا الشعب ، ونحاول أن نثير فى دمه إرث الماضى ، وفى نفسه ذكريات النصر ، وفى رأسه العقل النير الحر ، ليحرر أرض الوطن الأكبر من أوضاع إسرائيل ، وأرجاس الاستعمار ، ويقيم صرح المجد ، ويسترد من الدهر الدّين الذى دنا به التاريخ ، حتى يصل اليرموك وحطين ، بالمعركة المرتقبة فى تل أبيب ، ويرجع عهد الوليد والرشيد - أنصنع هذا كله بسيكارة وكاس ، يا أيها الناس ؟ !

سيقول قوم : وماذا يؤثر هذا الهراء فى النفوس ، إن هى إلا أغنية نستمتع بلحنها ( إن كان فيه مة ) ونغضى عن ألفاظها !

وأنا أسأل هؤلاء : هل يستطيعون أن يفرقوا بين الكلام واللحن ؟ هل يقدرّون أن يفصلوا بين اللفظ والمعنى ؟ من يقول ( سماء ) ولا يتصور مدلول السماء ؟ أو يسمع اسم الكاس ولا يتصور الكاس ؟ وأسألهم : ما أثرها فى نفوس الصغار ؟ ما أثرها ؟ إذا كانوا لا يعرفون فليرجعوا إلى علماء التربية وإلى النفسانيين ليعلموا أنها ستكون



في نفوسهم كصندوق الديناميت إذا وضعته بين أحجار البناء ، تنسف هي وأمثالها من الأفلام ( المصرية ! ) والمجلات ( المصرية ! ) كل مبادئ الخير والرجولة والمغاف . إن كل كلمة تلتق في الأذن ، تكون في النفس كبذرة تلتق في الأرض ، إذا هي لم تنبت اليوم تنبت غداً أو تنحل في الأرض فتبدل ( تركيب ) تراب الأرض ، لا تظنوا أن شيئاً يمضي من غير أثر ، ولكن من الآثار ما نحس به ، ومنها ما يستقر في العقل الباطن .

إن هذه الأغاني ليست أنغاماً فقط ولكنها كلمات ، كلمات إيماء ، فكيف يتعاون خطيب الجامع ، وواعظ الكنيسة ، وكاتب المجلة ، ومعلم المدرسة ، وكل عاقل في الدنيا على نشر هذه الحقيقة وهي أن السكر شر ، وأن للشارب الويل ، فتأتي الإذاعة وهي أقوى منهم جميعاً ، وأعلى صوتاً ، فتقول : بل الويل لمن ليس له كاس ، أي أن الويل للأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين ، والكثرة الكاثرة من أهل الأرض؟! أما إذا لم تمنعوا هذه ( الأفلام ) التي صارت مبة لمصر ( أعز الله مصر ) وعارا عليها ، ولم تقطعوا السنة هؤلاء المخنثين : ابن عبد الوهاب وفوزي وكارم والأطرش ، فامنعوا على الأرض هذا الهذر وأمثاله ، لأنه كفر بالدين وبالأخلاق وبالرجولة وبمجد مصر ، والسلام .

على الطنطاوى

## أعجز !

قال على بن أبي طالب رضى الله عنه :  
من أعجز الناس من عجز عن اكتساب الإخوان ، وأعجز منه من ضيع من ظفر به منهم .

# مع العشارفين

## بلال بن رباح

في ركب النبوة . . . حين كان ينزل جبريل  
وفي صفوة أهل الحق . . . أيام كان بينهم « محمد » صلى الله عليه وسلم . . .  
أخذ العبد الحبشي « بلال » مكانه في السابقين ، لم يمنعه أنه عبد من أن يحرر  
روحه لله ، ومن أن يكون خازن رسول الله ، ومؤذنه للصلاة . . .  
لم يسلم لغنم دنيوى تبدى له في دعوة محمد ، ولكنه أسلم والبلاء ينزل حوله بكل  
من أسلم !

كانت « لا إله إلا الله » ثورة أشعلتها العقيدة ، ثورة على ظلم الإنسان لنفسه :  
حتى لا يعبد هواه من دون الله ، وثورة على ظلم الإنسان لأخيه الإنسان : حتى يقوم  
الناس بالقسط لله رب العالمين . . . ثورة على الظلمين في كل أبيض وأسود . . . فسرعان  
ما وجدت جنديتها في هذا العبد الحبشي الأسود : وقد كان في ظلمه لنفسه أخف  
حملاً ، وفي ظلم الناس له أوفر نصيباً . . .

كان من أول سبعة أظهروا الإسلام ، ولقى من العذاب ما لم يلقه غيره ، وثبت  
ثباتاً لم يقدر عليه غيره من الأحرار . . .  
يقول عبد الله :

« أول من أظهر الإسلام سبعة : رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبو بكر ،  
وعمار ، وأمه سمية ، وصهيب ، وبلال ، والمقداد ؛ فأما رسول الله فمنعه تعالى بعمه  
أبي طالب ، وأما أبو بكر فمنعه الله بقومه ، وأما سائرهم فأخذهم المشركون والبسوم  
أدراع الحديد » ثم صهروهم في الشمس . فما منهم أحد إلا وأتاهم على ما أرادوا :  
إلا بلالاً ، فإنه هانت عليه نفسه في الله ، وهان على قومه فأعطوه الولدان فجعلوا  
يطوفون به في شعاب مكة وهو يقول . . . أحد . . . أحد . . . »

لماذا خصوه هكذا بالعذاب ؟

ألاّهم استكبروا على هذا العبد أن يتناول إلى عقيدة تخالف عقائدهم ؟

أم لأنهم استهانوا به فأفرغوا فيه غيظهم وشفوا منه الغليل ؟ !

أمّا الأولى فقد زادها ثباته اشتعالا ، وأما الثانية فقد ردها الله عليهم حين اشتراه أبو بكر فأعتقه ؛ يقول إسماعيل بن قيس : اشترى أبو بكر بلالاً وهو مدفون بالحجارة بخمس أواق ذهباً ، فقال له المشركون : لو أبيت إلا أوقية واحدة لبعناكه . قال : « لو أبيت إلا مائة أوقية لأخذته » ، ففغروا أفواههم دهشاً وغيظاً !!

\*\*\*

وآثره النبي بثقته طول حياته ؛ وحين تثق النبوة فقد وثقت السماء . . . وحسبه ذلك فضلاً لا يؤتيه الله إلا من أحب !

جعله صلى الله عليه وسلم خازنه على ماله . . . وفي ذلك يقول عبد الله الهوزاني : « لقيت بلالاً فقلت يا بلال : حدثني كيف كانت نفقة رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : ما كان له شيء ، كنت أنا الذي ألى ذلك منذ بعثه الله عز وجل حتى توفي ، وكان إذا أتاه الرجل المسلم فرآه عارياً يأمرني به ، فأنطلق فأستقرض وأشتري البردة وأكسوه وأطعمه » .

كان خازنه على ماله . . . وأية خزينة هذه . . . إلا خزينة التجرد والعفاف والخلق الرضى ؛ دخل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد عنده صبراً من تمر ، فقال : ما هذا يا بلال ؟ قال : يا رسول الله أدخرته لك ولضيفانك ، قال : « أما تخشى أن تكون له سجار من النار ؟ أنفق بلال ولا تخش من ذي العرش إقلالا » ! — ويقول صلى الله عليه وسلم فيما يرويه أنس . « لقد أخفت في الله تعالى وما يخاف أحد ، ولقد أوديت في الله وما يؤذي أحد ، ولقد أتت على ثلاثون من يوم وليلة مالى ولا لبلال طعام يأكله أحد إلا شيء يواريه إبط بلال » .

عاش هكذا في حجر النبوة ، واتصل هكذا بخلق النبي ، فلا تعجب إذا رأيت الرسول يطالبه بما لم يطالب به كثيرين غيره ، فيقول له : « يا بلال مت فقيراً ولا تمت غنياً » يقول له ذلك وهو القائل صلى الله عليه وسلم : « نعم المال الصالح للرجل الصالح »

ولكنها خصوصية أولاهها للذي خصه الله بصحبته ، وميزان عالٍ يعامل به أقرب أصحابه إليه ؛ كأن ضريبة القرب من قيادة الأنبياء أن تعطى ولا تأخذ ، وأن تمضي إلى الله خفيفاً !!

سأله بلال بعد أن قال له : « يا بلال مت فقيراً ولا تمت غنياً » : فكيف لي بذلك يا رسول الله ؟ قال : « مارزقت فلا تجباً ، وما سئلت فلا تمنع » فقال يا رسول الله كيف لي بذلك ؟ قال : « هو ذلك أو النار » .

\*\*\*

كان رضى الله عنه رقيق القلب ، صافى السريرة ، دائم الصلة بالله ... يقول صلى الله عليه وسلم : « سمعت في الجنة خشخشة أمامي ، فقلت من هذا ؟ قالوا : « بلال » فأخبره ، ثم قال لبلال : « بم سبقتني إلى الجنة ؟ » قال يا رسول الله : ما أحدثت إلا توضأت ، ولا توضأت إلا رأيت أن الله تعالى عليّ ركعتين فأصليهما ... كان في كل صحوته على وضوء ، وذلك يكشف لك عن حاله مع ربه !!

\*\*\*

وكان ندى الصوت ، وكان رسول الله يحب صوته ، وأكرمه الله في ذلك بمكرمة ما سبقه بها أحد ، فهو أول من أذن في الإسلام ، وهكذا ارتفع صوت الإسلام أول ما ارتفع من فم عبد حبشي أسلم : من فم بلال ، حتى يدرك الناس فضله ، وحتى يعلموا أن ليس لأبيض على أسود فضل !

\*\*\*

فلما كانت خلافة أبي بكر رضى الله عنه ، تجهز بلال ليخرج إلى الشام . فقال له أبو بكر : ما كنت أراك يا بلال تدعنا على هذا الحال ، لو أقمت معنا فأعنتنا . قال : إن كنت إنما أعتقتني الله تعالى فدعني أذهب إليه ، وإن كنت إنما أعتقتني لنفسك فاحبسني عندك ؛ فأذن له فخرج إلى الشام فمات بها ! رضى الله عنه وأرضاه في الجنة .

واللحقنا به في الصالحين .

يا مسامحون وما لعيني لا ترى : للمسلمين الورع والإحسان

للدكتور حسان حتحات (\*)

الطبيب بمستشفى المدينة المنورة

حمل الهوى قلبي إليك وطارا      يطوى البلاد ويذرع الأقطارا  
كأس الحياة إذا نظرت حلاوة      فإذا شربت بها وجدت مرارا  
أأكون صاحبها وهذا سما      تسقى الندى منه والسمارا ؟  
إني لتاركها لأكرم ساحة      تحوى النبي وآله الأطهارا  
بلد الألى هاجرت من وطني إلى      أوطانهم فوجدتهم أنصارا  
ذوبت نفسي في الفرام قصيدة      وجعلت شعري للوداد شعارا  
ودعوت فيها دعوة أبدية      يا ربّ حيّ نبيك المختارا

\*\*\*

أسود إن المسلمين يأسرهم      قد ركزوا الآمال والأنظارا  
شدها على بلد الرسول محلة      تجلو ظلاماً أو تقيل عثارا  
تنفى بها وبمثلها أسقامنا      وترد ليل البائسين نهارا  
هي من شئون الملك فارفع صرحها      واحسم بها الأدواء والأوضارا  
الشعب فيه هو الأساس وكلها      قوى الأساس به فلن ينهارا  
أرقاً مدامعه وواس جراحه      وأعدّه للمكرمات كبارا  
زمن القوى وعالم لا يستحي      أن يستبيح دم الضعيف جهارا  
إن لم تكن تلك الجسوم قوية      لم تلف جندياً ولا طيارا  
فأعد ما يحى الجسوم كليلة      وأعد ما يهدى النفوس حيارا  
واسأل رجال الطب عن أدوائهم      ودوائهم يحلوا لك الأسرارا

(\*) ألفت في افتتاح مستشفى المدينة المنورة في حفل حضره جلالة الملك سعود .



إنا نحس قلوبهم وسدورهم ونفوسهم والسمع والأبصار  
نجرى الماضع بالشفاء وتارة نجرى الكلام وننظم الأشعارا

\*\*\*

يا مسلمون وما لميى لا ترى للمسلمين الورد والإصدارا  
دار الزمان عليهم فتغيروا ليت الزمان عليهم ما دارا  
سكنوا إلى الدنيا سكينه غافل يا ويل للدنيا الفرورة دارا  
حسبوا بأن الدين عزلة راهب واستمروا الأوراد والأذكارا  
عجبا أراهم يؤمنون ببعضه وأرى القلوب ببعضه كفارا  
والدين كان ولا يزال فرائضا ونوافلا لله واستغفارا  
والدين مصباح حملنا نوره لنبت ما بين الدجى أنوارا  
والدين ميدان وصمصام وفر سان تبيد الشر والأشرارا  
والدين عز المسلمين فما ارتضى في أرضهم ذلا ولا استعمارا  
والدين حكم باسم ربك قائم بالعدل لا جورا ولا استهتارا  
ذاك الهدى يا من يسائل ما الهدى فبأي للاء الهدى تمارى

\*\*\*

وانظر عداة المسلمين فإنهم داء أناخ على الحمى وأغارا  
متنافرين فإن تراءى مسلم حسموا الخلاف ووحدوا الأوطارا  
خوف من الإسلام يملأ قلبهم رعبا ويزكى في الجوانح نارا  
مهلا عداة الله إن غرتكم دنيا شهدنا حالها أطوارا  
حاصرتم الدنيا فهل في طوقكم أن تحكموا حول اليقين حصارا  
يا رب ثبتنا اليوم موشك نهب الدماء لديه والأعمارا  
يا رب هد الظالمين ولا تذر منهم على أوطاننا ديارا

\*\*\*

ولرب جرح في فلسطين جرى بدم فأجرى الدمع المدرارا  
ما زال ينتظر الدواء كتائب تهوى الحمام وأنفسا أحرارا

سنرده وزدھم عن أرضه ونفك عنه ربة وإسارا  
ما بال جبار الحديد كأنه نسي الإله الواحد الجبارا  
قد قرّروا ما قرّروه وإننا دون الكرامة لا نقرّ قرارا

\*\*\*

أملأ بني الإسلام هذى يثرب  
بلد الرسول ، وأى درس ناصع  
هذا رسول الله يعم شطره  
يفشى المخاطر ما له إلا السرى  
حتى أتى غاراً فألهم أنه  
والكفر عصيته تنقبّ عنهما  
بلغت مكانهما فلم تشهدهما  
أضحى ببيض للحمّام وقاية  
تحي اليقين وتحفز الأحرارا  
عمر القلوب وأطرب الأفكارا  
يطوى إليه مهامها وقفارا  
ليلاً وإلا الاختفاء نهارا  
وصديقه يستوطنان الغارا  
تلمس الأخبار والآثارا  
فقد البصيرة يذهب الإبصارا  
وغدت خيوط العنكبوت ستارا

\*\*\*

يا رب ليس لنا سواك وإننا  
بارك لنا فيما يصير به الهدى  
يا رب إنّ الناس ضل ضلالهم  
ثار المباب بنا فنج سفيننا  
يا رب نهضتنا على دين الهدى  
خيل نعد رباطها ومهند  
وعقيدة وعزيمة وحكومة  
إنا دعونا في جوار محمد  
لم نلف غيرك راحماً غفارا  
من أمرنا واغفر لنا ما صارا  
فتجبروا واستكبروا استكبارا  
واهد الرياح وسخرّ التيارا  
بنيت فعزت رفقاً وجدارا  
ما زال في كفّ الهدى بتارا  
تخذ الكتاب هداية ومنارا  
عزّ الرسول شفاعة وجوارا

# ترکيا

بقلم الأستاذ صاحب التوقيع



## معلومات عامة :

- ١ - تدل إحصاءات عام ١٩٥١ أن عدد سكان تركيا يزيد على العشرين مليوناً ،  
الغالبية العظمى منها تركي ، والأتراك جميعاً مسلمون .
- ٢ - تشغل رقعتها مكاناً متوسطاً ممتازاً ، تتمثل فيه الفصول الأربعة في وقت  
واحد . يحيط البحر بجانب عظيم منها ، وتتغلغل داخلها الأنهار كالشرايين فهي  
غنية بالمياه .
- ٣ - الأمة التركية أمة مسلمة بالطبع ، جميع أفرادها مسلمون . . . حتى إن كلمة  
« تركي » أصبحت مرادفة لكلمة « مسلم » ومن لم يكن مسلماً فليس تركياً . ولا عجب  
فهذه الأمة لم تعرف معنى الحياة والحضارة ، ولم تذوق طعم العزة والصدارة إلا بالإسلام .

نبذة تاريخية :

حتى ثلاثين سنة خلت ؛ كانت الإمبراطورية الإسلامية العثمانية قائمة تشغل من هذا العالم معظمه ، لقد أسسها « عثمان » ؛ وأقام دعائهما « محمد الفاتح » على أسس متينة من الإيمان . وتعاقب على الإمبراطورية خلفاء صالحون ، عاملون ناصبون ، لم يغمض لهم طرف حتى أعادوا للدولة الإسلامية سابق مجدها وسالف عهدها . ولقد نعم المسلمون في كنف هؤلاء بالعدالة الإسلامية السامية دون ما تفريق بين الجنس واللون فكان الجميع سواء . وأعقب هؤلاء بحكم الوراثة — التي ليست من الإسلام في شيء — خلفاء أخذوا إلى الراحة وقعدوا عن الجهاد واستسلموا لأسباب الترف والشهوات ؛ وكان نتيجة ذلك الضعف والانحلال والمجون والفساد . واستيقظ الغرب على الدولة العثمانية الإسلامية مرفوعة اللواء مترامية الأرجاء ، إلا أن الضعف قد تسلل إليها والعلل قد تألبت عليها ، فكان أول عمل له تفتت هذه الدولة وازدراء أجزائها . وتكاثفت قوى الشر : الصهاينة من اليهود يتآمرون على قلبها « فلسطين » فيطلبون إلى « عبد الحميد » أن يقطعهم إياها فيأبى ، فيمكرون ويدبرون أمرهم . والروس يسرعون دون ما انتظار إلى اختطاف ما يليهم من مدن وأمصار . وأما « الإنجليز والفرنسيين » فإنهم كانوا أبعد نظراً ؛ لقد أجمعوا أمرهم واليهود يمزقون هذه الدولة ويفرقون شملها دون حرب أو قتال . وانتشرت الجمعيات الماسونية والصهيونية ، وانقلب المسلمون آلة في أيدي أعدائهم يحركونهم كيفما يشاءون . . . . . وبرزت إلى الوجود حركة « التريك » . لقد أخذت صبغة الدولة العثمانية تتحول إلى قومية بحتة ، ومضت جماعة « الاتحاد والترقي » تحاول تريك الدولة ورعاياها من المسلمين الذين ينتسبون إلى أمم ما كانت لتألف إلا في الله . وتفرق المسلمون إلى شعوب متفرقة ، وفرق متخاصمة ، فسهل على أعداء الإسلام الذين يتربصون به الدوائر ابتلاعها ، فالتهموها لقمة سائنة ، وتقاسموها فيما بينهم غنيمة باردة ؛ وفي مقدمة كل ذلك لب الدولة وموطن بني عثمان . . . « تركيا » .

حاضر تركيا :

ولكن تركيا اليوم دولة حرة مستقلة ، لا تتداعى عليها الأمم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها . . . فما هو سر هذا التحول ! ؟ إن زيارة عابرة لأمّات المدن التركية ، ووقوفاً بسيطاً على سير الحياة فيها ومقوماتها تكفي لأن تدرك أن تركيا اليوم ليست مستقلة في كل شيء ولا حرة في كل شيء ، وأنها إنما تسير بخطى سريعة إلى الانحلال والاضمحلال . إن كل شيء في هذه المدن — عدا المساجد ومن رحم ربك من عباده — يدلّك على بعدها عن الإسلام : الأخلاق منحلة ، والمفاهيم مقلوبة مشوهة ، والإلحاد قد أنشب أظفاره ، وحكومة لا دينية هي أخطر على الإسلام والمسلمين من أهل الكتاب والمشركين ، وجيل جاهل تمام الجهل بحقيقة الإسلام . والأمراض الاجتماعية والبدنية تنتشر حيث الفساد والرديلة ، وقد بلغت في تركيا نسباً خيالية تنذر بشر مستطير !

وخلف هذه البلاد يقوم « الأناضول » المسلم المجاهد ، فيه رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، يعمر قلوبهم إيمان لا يترزعزع ، وروح مسلمة تلهب حماسة وتفيض شوقاً إلى إلى إعلاء كلمة الله ، وتذوب تأثراً على ما رماه به انقلاب « أتاتورك » من الناحية الدينية والاجتماعية من المآسى والأهوال . هنا الفرد المسلم والبيت المسلم ، هنا ينبوع القوة ، هنا الجندي التركي المؤمن المجاهد الصبور ، الذي كان ولا يزال العنصر الأساسي الذي يمنع هذه الدولة ويرد عنها غارات المغيرين واعتداءات المعتدين ... إلى هنا لجأ « أتاتورك » منذ ثلاثين سنة خلت وقد تقاسمت الأراضي التركية قوى الكفر . . لجأ يستنفر الأتراك يحاربون المستعمر ويخرجونه . . لقد كان يستثير غيرتهم الإسلامية ويستنهض همهم المؤمنين ، ويصور لهم نفسه رجلاً تقياً ورعاً لا يترك صلاة ولا دعاء . فنفرت تلك العصبة المؤمنة وحملت سلاحها ، بعد أن انضم الجيش وعلى رأسه الرجل المؤمن « فوزي جقمق » رحمه الله ، ومضوا يجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم وهتافهم « الله أكبر » فطردوا المستعمرين الدخلاء شرّاً طردة وأجلوهم عن بلادهم . وما أن استتب الأمر حتى برزت حقيقة أتاتورك وانحسر قناعه ، ففضى يساوم في «لوزان»



عصبة أعداء الإسلام فقبل « اللادينية » المفروضة عليه منهم متحدين ، وصادفت هوى في نفسه فانكفاً يفتك بالمتدينين والمؤمنين ، ويقصى العاملين المخلصين ، ومده أولئك بثلة من رجال الظلم والفساد وضعوا أساس انقلابه المشهور الذي حاولوا به القضاء على كل ما يتصل بالإسلام بحجة أنه السبب الأول للتأخر والجهل ، وأقاموها تركية جاهلة ملحدة ، وعكفوا على كل شيء له صلة بالإسلام بمسخونه : يحورونه أو يستأصلونه ، فالأذان تركي والقرآن تركي ، والحروف لاتينية ، والقبة إجبارية . وبرامج الدراسة فيها كل شيء إلا الدين ، وعطلة الأسبوع الأحد ، وأما القوانين والأحكام والشرائع فجميعها مستوردة مستعارة من أوروبا وشعارهم في كل ذلك تقليد أوروبا والائتمار بها . وأخبرني أحد كبار المشتغلين بالحركات الإسلامية أن أعضاء الانقلاب اجتمعوا فيما بينهم يتدارسون أمر الإسلام والقرآن . . . فاقترح البعض تمزيق القرآن ومنع استيراد أو طبع بدله حتى يستتب الأمر للانقلابيين لأنه مادام فيهم فإنه سيظل مصدر قلق ، إلا أن غالبية جماعة الانقلاب رفضوا هذا الاقتراح وأجمعوا أمرهم أن ينشئوا جيلاً يتولى هو بنفسه تمزيق القرآن ؛ وذلك بالإعراض عنه وعدم تطبيقه وهو هذا الجيل الآنف الذكر .

### الحركة الإسلامية الحديثة :

#### (١) حزب الأمة :

كان أول غراسها حينما تبين المشير « فوزى جقمق » عقب الانقلاب خيانة « أتاتورك » ونقضه للعهد وجموحه إلى الإباحية ومحاربه للإسلام ، فأخذ على نفسه أن يدبأ طول حياته على إعادة تطبيق الإسلام في بلده ، فأسس لذلك حزبا أسماه « حزب الأمة » "Sbiccet partisi" إلا أن جماعة الانقلاب لم يلبثوا أن حاربوه بشدة ودسوا في صفوفه من أتباعهم من يضمن بقاءه بعيداً عن الغاية المنشودة منه .

#### (ب) الحركة النورية :

والخطوة الثانية كانت « الحركة النورية » وهي مأخوذة من الآيات القرآنية التي تشير إلى غاية الإسلام ؛ وهي إخراج الناس من الظلمات إلى النور :

« يخرجهم من الظلمات إلى النور » . « ليخرجهم من الظلمات إلى النور » . الخ .  
 ولقد أسسها عالم كردى جليل هو « سعيد النورسى » ويلقب بـ « بديع الزمان » ،  
 كان عضواً في المجلس الملى الكبير الأول الذى أسسه « أتاتورك » وعاصر الحركة  
 منذ نشأتها ، وما أن اتضح أنه من المعارضين للانقلاب حتى زج به فى السجن ،  
 وأخذ يسام سوء العذاب وقد وضع أسس دعوته فى السجن ، وما أن غادره حتى مضى  
 يدعو الناس إليها . وتمثل دعوته فى كتبه الكثيرة المنتشرة : « دليل الشباب » ،  
 « عصا موسى » . الخ . ولقد شرح لى ذلك مؤسس الدعوة بنفسه حين التقيت به ،  
 وهو شيخ قد تجاوز التسعين ، قائلاً : نحن نحاول هنا أن ننقذ الإسلام . لقد أتى  
 على بدء الحركة خمس وعشرون سنة وهى تعمل بصورة سرية وقد تفتت تفشياً  
 فى كل مكان حتى اكتسحت أخيراً الجامعات والمعاهد ، وأخذت تصادف فى كل مكان  
 طلابها ومريديها .

### الحركة الإسلامية والحكم :

لقد أفلحت الدعوة النورية فى خلق وعى عام إسلامى فى تركيا ، ظهر أثره فى الانتخابات  
 الماضية إذ نغم الشعب على حزب الشعب الجمهورى Cumhuriyet Halk-p.  
 وهو حزب أتاتورك الذى انفرد بالحكم زهاء ربع قرن ، واشتهر بتمسكه الشديد  
 بالانقلاب ومحاربه للدين ، فأزاحه عن الحكم وفى مقدمته « عصمت إينونو » ونصر  
 الحزب الديمقراطى "Demokrat - p." وعلى رأسه « جلال بايار » نتيجة للوعود  
 الكثيرة - قبل الانتخابات - بإعادة الإسلام ونشر لوائه . ولم تكد تستقر  
 الأمور حتى اكتفت الحكومة الجديدة من وعودها بشكليات بسيطة كإعادة الأذان  
 عربياً ، والسماح بإذاعة القرآن لمدة دقائق عشر صباح الجمعة ، وأذنت بافتتاح مدارس  
 للأئمة والخطباء شريطة أن يشرف عليها ويسدد نفقاتها المسلمون بما يجمعونه من  
 أموال ، وتدرس الدين الإسلامى فى المدارس الابتدائية بشكل بسيط جداً . وهكذا  
 خاب أمل جماعة الحركات الإسلامية فى هذا الحزب وانفض عنه وعقد العزم أن يؤسس  
 جماعة رسمية ، مستفيداً من خبرته السابقة ومعرفته بمنطق جماعة الانقلاب وكان  
 أن ولدت جماعة رابطة القوميين الأتراك Türk Milliyetçikr Dernegi وفى ظرف

أسبوع واحد افتتحت الرابطة ماينوف على الثمانين شعبة وانتظم في سلكها نخبة من الأساتذة والأطباء والمهندسين والمحامين والصحفيين ، وانتشرت صحيفتهم « مفكورة Mefkûre في كل مكان وتعددت بياناتهم القوية ، فاتتبه الحزب الديمقراطي وبقية الأحزاب التي تساند الانقلاب ومن ورائهم الماسونيون والصهيونيون وعملاء الاستعمار ، وأوقعوا بالرابطة ضربتهم الظالمة ، فأغلقوا شعبها ، وصادروا أموالها وعطلوا صحفها واعتقلوا رؤساءها بتهمة الرجعية والتآمر على الانقلاب ، وانقلبت الحكومة التي كانت تدعى نصرة الفكرة الإسلامية تحاربها بشكل لم يسبق له مثيل في تركيا ، لقد طاردتهم في كل مكان واعتقلت وقدمت إلى المحكمة عدداً ضخماً حتى ضاقت بهم السجون والمعتقلات وأخذت تلحق العذاب بكل من تشم منه رائحة التدين والإيمان . ولقد بطشت الحكومة مؤخراً بطشتها الأخيرة بإغلاق حزب الأمة : حزب جقمق الذي سلف ذكره Millet partésé حين شعرت بقوته .

### قراران :

ومن أغرب أحداث هذا العام قراران أصدرتهما الحكومة التركية في معرض محاربة الفكرة الإسلامية فأثار ضجة بالغة ، وتعليقات مفصلة : القرار الأول هو : « قانون حماية أتاتورك » : Atatürk Koruma Kanunu .

والثاني « قانون حماية الانقلاب » : Inkilâp Koruma Kanunu . وهما قانونان يحتويان على عقوبات صارمة تطبق على من يتناول بالتحقير أو بالقذف أتاتوركاً أو يحطم تماثيله ويمزق صورة كما فعل بعض المتحمسين للفكرة الإسلامية في العام الماضي ، وكذلك على كل من يحارب الانقلاب أو يدعو ضده ، وكأني بالحكومة تعلن بهذين القانونين أن « أتاتورك » في خطر . . . أتاتورك الذي كان يتوهم الناس أن الشعب التركي يقدسه ويعبده ، في حين أن الذين يقدسونه هم جماعة الانقلاب من الإباحيين والملحدون ، وأما عامة المسلمين من الأتراك فيقال بأن الصور الوحيدة التي لم يمزقوها هي صورة مصطفى كمال على العملة التركية ، وأما التماثيل فقد كسر قسم كبير منها في الحركات الماضية . والحقيقة الثانية التي وصل إليها المتبصرون بحقائق الأمور هي أن الشعب التركي لم يتخل عن عقيدته المسلمة وعن إيمانه ، ولم تفلح جهود حكومات الانقلاب المتعاقبة لمدة ثلاثين سنة على تعويده على اللادينية ، وباءت كل

محاولة من هذا النوع بالفشل الذريع . كل هذا وغيره يدل دلالة واضحة على شدة تمسك الشعب التركي بالإسلام ، وأما حملة الفكرة الإسلامية فإن هذه المحاربة لا تزيدهم إلا إيماناً . والإلحاد والمجون والإباحية التي تنتشر في أمهات المدن التركية ، وعلامم الانحلال التي تتمثل في طائفة الملحدن الفاسدين هي الحجج القوية في أيدي دعاة الإسلام .

### كلمة مجملة :

إن الدعوة الإسلامية في تركيا آخذة في الانتشار ، وتكسب في كل يوم أنصاراً جديداً ؛ إلا أن ما يجدر ذكره هنا هو أن هذه الحركة في مسيس الحاجة إلى التوجيه الصحيح . فالفكرة القومية التي طغت في تركيا قد امتدت حتى إلى بعض رجال الحركة الإسلامية الذين أخذت تساورهم العقيدة في القومية التركية إلى جانب الفكرة الإسلامية وذلك يشوه أحياناً إيمان بعض الشباب المتحمس للإسلام ويؤثر في تفكيره . وكذلك فالناحية العملية تنقصهم ، وقد ألفت الكثير منهم متحمساً للعمل ولكن لا يعرف السبيل إليه . إنهم يعملون ليلاً ونهاراً في نشر الدعوة ويبدلون جهدهم في التفقه فيها ، ولكنهم لا يعرفون الخطوات العملية التي يسلكونها لخلق الفرد المسلم والأسرة المسلمة والمجتمع المسلم .

إن تركيا اليوم تسير بخطوات واسعة نحو النور !

( م . . . ج . . . )

### تطاول بجهالة

زعموا أن أرنبا سمعت العلماء يتكلمون في مصير هذه الدنيا ، ومتى يتأذن الله بانقراضها ، وكيف تكون القارعة ؛ فقالوا : إن في النجوم نجوماً مذنباً لو التفت ذنب أحدها على جرم أرضنا هذه لطارت هواء كأنها نفخة النافخ ، بل أضعف منها كأنها زفرة صدر مريض ، بل أوهى كأنها نفثة من شفتين . فقالت الأرنب : ما أجهلكم أيها العلماء ! قد والله خرفتم وتكذبتم واستحقمتم ؛ ولا تزال الأرض بخير مع ذوات الأذنان ، والدليل على جهلكم هو هذا . . . قالوا : وأرتهم ذنبها ! .

« عن وحى القلم للرافعى »

# في أفق العالم الإسلامي

\* انتخابات السودان

\* جلالة الملك سعود

\* فلسطين في شهر

## انتخابات السودان :

لعل من أهم أحداث هذا الشهر ما ظهر من نتائج انتخابات السودان ، وهي في ذاتها دليل على ما بين مصر والسودان من وشائج حاولت السياسة البريطانية دهرأ طويلا أن تنال منها ، وأن تصورهما للرأى العام العالمى بعكس صورتها . أما أثر هذه النتائج عمليا فهو أمر يجب أن نحسب له كل حساب ، وأن نتوقع من الإنجليز أن يستخدما كل حيلهم وصنائعهم لإفساد ما تم . وأملنا أن تنجح السياسة المصرية وإخواننا السودانيون في الحيلولة دون ذلك ، وألا تحرم السودان من وحدة أبنائه وسلامة أنفسهم وأخلاقيهم في هذه المرحلة الدقيقة .

## جلالة الملك سعود :

تولى جلالة الملك سعود عرش البلاد العزيزة بعد وفاة والده رحمه الله ، وإنا نلرجو أن يكون عهده على المملكة العربية السعودية وعلى الإسلام مباركا ميمونا . وقد قال جلالتة لوفد الإخوان المسلمين في مكة إنه يعتزم أن يوطد ملكه على كتاب الله وسنة رسوله ، وإن الشعب الذى أظهر من الوفاء ما أظهر سيجد الرعاية الكاملة به في ظل عدالة الإسلام ، وإنه ناهض بمرافق البلاد جميعاً إن شاء الله .

وإن المسلمين الذين تمفؤ قلوبهم إلى البلاد المقدسة ، ويتجهون إلى بيتها الحرام في كل صلاة ، ليضرعون إلى الله أن يجرى على يد « سعود » الخير لدينه وبلاده ، وأن يؤيده بروح منه في كل صالحة تميز الإسلام والمسلمين .

## فلسطين في شهر :

### مؤتمر القدس :

وجهت جمعية إنقاذ فلسطين بالمراق ومكتب الإسماء والمراجع الدائم في القدس الدعوة إلى عقد مؤتمر إسلامي عالمي في القدس الشريف ، دعت إليه أولى الرأى من المسلمين للبحث في الأخطار العظيمة اليهودية والاستعمارية التي تهدد بيت المقدس ، وللعمل على حماية فلسطين والمقدسات الإسلامية فيها من المطامع والاعتداءات اليهودية .

وقد حدد السابع والعشرون من ربيع الأول ١٣٧٣ موعداً لانقاده ويستمر أسبوعاً ، وقد لبت الدعوة إليه وفود كثيرة ، وسافر رئيس التحرير إلى بيت المقدس ليهب هذا المؤتمر .



لم تكن جريمة اليهود الوحشية في قبية في ١٤ أكتوبر ١٩٥٣ آخر حوادث العدوان على الحدود فقد تلتها حوادث متعددة متفرقة على الجبهتين الأردنية والمصرية .

ولم تكن كل جرائم اليهود حوادث حدود وقتل أفراد متفرقين من فلاحين أو رعاة أو صيادين ، بل إن جرائمهم اتخذت مظهراً آخر — وإن لم يكن جديداً — عندما تسرب إلى المدينة القديمة في القدس نبأ من المدينة الجديدة بأن اليهود قد حولوا مسجد النبي داود ، المسجد التاريخي الكبير ، إلى كنيس يهودي . كما سبق أن فعلوا بكثير من المساجد من قبل .

وكان من آثار مذبحة قبية أن تحرك الرسميون العرب في الشهر الماضي فاجتمعت اللجنة السياسية لجامعة الدول العربية في عمان في دورة استثنائية انتهت باتخاذ قرارات بتعزيز وسائل الدفاع على خطوط الهدنة .

وتقدمت الدول العربية الأعضاء في الأمم المتحدة بشكواها إلى مجلس الأمن ضد الاعتداء الفادر ، انتهى بالموافقة على قرار تقدمت به الدول العربية الكبرى الثلاث ، يقضى بتوجيه اللوم الشديد إلى إسرائيل . .

وكانت الحكومة السورية أيضاً قد تقدمت بشكوى إلى مجلس الأمن تطلب فيها منع إسرائيل من تحويل مجرى نهر الأردن ، وتخرج الموقف على الحدود فطلبت الحكومة الأمريكية من اليهود وقف العمل في المشروع ، إلا أن مجلس وزراء إسرائيل أعلن رفض الرضوخ لهذا الطلب ، فأعلن الرئيس أيزنهاور قطع المعونة الاقتصادية الأمريكية عن إسرائيل ، إلا أنه ما لبث أن عاد وألقى هذا القرار بعد أن صرح مندوب إسرائيل في مجلس الأمن بأن حكومته قررت وقف أعمالها في تنفيذ المشروع مؤقتاً حتى يبت المجلس في شكوى سوريا بهذا الشأن . في حين أن الحكومة السورية تؤكد استمرار أعمال الحفر بل زيادة عدد العمال المشتغلين فيه ، وأن العمل يستمر فيه ليلاً على ضوء الأنوار الكشافات .

وكان واضحاً أن الطريق الذي سارت فيه القضية الفلسطينية بعد أن أثارها حوادث العدوان الأخيرة في المحافل الدولية إنما هو طريق رسمه سياسة اليهود بدقة وإحكام بالانفاق مع أصدقائهم الأمريكيين .

وكان الغرض الأول من هذه المجزرة الوحشية هو إرهاب السكان العرب وإجلاءهم عن القرى الأمامية تمهيداً للتوسع والاستيلاء على ما بقي من الأراضي العربية وفي مقدمتها مدينة القدس الشريف .

والغرض الثاني هو توجيه الرأي العام العالمي إلى هدم استقرار الحال في المنطقة وضرورة حل المشاكل والمتاعب التي يعانيها اليهود من جراء الحصار الاقتصادي والضائقة المالية ، بحمل الأمم المتحدة على إرغام العرب على عقد الصلح مع إسرائيل .

وبؤيد هذا النظر ظهور المشروع الذي حمله مستر جونسون مبعوث الرئيس أيزنهاور في هذا الوقت بالذات لحل مشكلة النزاع على الأردن والذي ينظم استغلال مياه النهر في الري وتوليد الكهرباء بالتعاون بين إسرائيل والدول العربية المجاورة ، ولإسكان عدد من اللاجئين وتشغيلهم في هذا المشروع الذي تموله وتحمل عبئه الحكومة الأمريكية الحريصة على حماية إسرائيل وتأمين مستقبلها ، وحل مشكلة اللاجئين الذين يشكل وجودهم خطراً كبيراً عليها ، وتصفية القضية الفلسطينية نهائياً .

والحكومة الأمريكية لحرصها الشديد على هذه الغاية تتجاذل على إصرار العرب على عدم الانصال باليهود والتعاون معهم وتدعوهم إلى عقد اتفاقيات ثنائية معها ، حيث تقوم هي من ناحيتها لعقد اتفاقات مماثلة مع اليهود لتحقيق الغاية التي تتوخاها من عقد اتفاق مباشر بين الطرفين .

واستقبل اللاجئين الفلسطينيين في مطلع هذا الشتاء فصل الشتاء السادس عليهم وهم في محنتهم هذه .

وفصل الشتاء بالنسبة للاجئين كارثة فوق كارثتهم ومحنة تضاف إلى محنتهم ، حيث تغطي الثلوج الكثيفة بعض مناطقهم وتقتلع العواصف خيامهم وتحتاج السيول أكواخهم ويعانون فيه أسوأ حالات البؤس والشقاء .

ولو كان هذا الشتاء الأول لاحتملوه ، ولو كان الأخير لصبروا عليه ولكن الشتاء السادس ، وليس في أفق جامعة الدول العربية ما يبشر بأنه سيكون الأخير ، فإن سياستها مازالت على ماكانت عليه لم يصحبها تغيير ولا تبديل .

والذي لا شك فيه أن العدوان اليهودي لن يتوقف ، وأن اللاجئين موقفهم لن يتحسن في ظل هذه السياسة . ولعل صحيفة صندى ستار الأمريكية قد أصابت عندما علقت على موقف الدول العربية من الحوادث الأخيرة بقولها : إن الدول العربية غير راغبة في استئناف القتال ، هي تميل إلى توجيه النقد اللازم إلى الإسرائيليين أكثر مما تميل إلى إطلاق قواتها ضدهم .

### أعداد السنتين الماضيتين

من مجلة « المسلمون »

- \* نفذت مجموعات السنة الأولى المجلدة وغير المجلدة .
- \* لدينا عدد محدود من مجموعات السنة الثانية المجلدة وسعر المجموعة جنيه ونصف مصرى ، عدا تكاليف الإرسال بالبريد .
- \* لدينا بعض نسخ متفرقة من أعداد السنة الأولى والثانية وترسل النسخة لمن يطلبها بمقابل خمسة عشر قرشاً مصرياً .
- \* باب الاشتراك العادى لا يزال مفتوحاً ابتداء من العدد السادس من السنة الثانية ( شعبان سنة ١٣٧٢ ) .

الإدارة

Production must be made to slave for humanity but not enslave humanity to it. Pleasure must be considered a human right but not a tyranic master. It is only in the faith in God that human nature can hope to restore its position in front of the menace of mechanism and pleasure. But this faith should never be a hindrance to the brain, nor a prison to instinct, nor a barrier to production, and the progress of humanity.

Thus, Islam appears and stands unique as the key to all these worldly problems and one can but feel this urgent need of humanity to it.

The need of individual conscience to faith and peace.

The need of the family to a state of steadiness and protection.

The need of the whole world to mutual understanding and help.

The need of the individual's faith in his existence and aim in life.

The need of society to protection, equilibrium and stability.

The giant tree of civilization is swaying today as it did before the birth of the man who was to unite the whole world. How urgent is the need of humanity to the message of this man to save it once more from dastruction.

Humanity is in need of us, in need of our faith, our priucipals, our laws, our social ways, which grant satisfaction and security to the individual and help peace find its way to reign in the conscience, home and society of this universe of ours.

It is from this urgent need and from our faith in God, that we derive the strength and earnestness in the call to embrace Islam. We shall remain true to this principal and aim even though we be surrounded by evil on all sides.

Yes, humanity is in a sore need to the teachings of Islam and this intensifies the crime of those who seek to oppress and destroy the Islamic movement.

---